www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء الأول

إهداء من
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...
الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

فيه آيات بينات من شاء ذكره ومن شاء كتمه في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤٠ — ٨ الجدي (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢

فاتحة المجلد الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أسبغت علينا من نعمك الظاهرة في السراء، والباطنة في الضراء، وأريتنا من آياتك في الآفاق بتنازع الباغين الطاغين وفشلهم، وفي أنفسنا بالتأليف بين المستضعفين المؤذن بظفرهم، وأتممت النعمة بما أكملت لنا قبل من الدين، واستخلفتنا في الارض فجعلتنا أئمة وارثين، اذ جعلت لنا ما لاهل العدل من عبادك الصالحين، ونصلي ونسلم على من بعثته خاتما للنبيين، محمد نبي الرحمة، الامي المعلم للكتاب والحكمة، وآله وعترته، وكل من فاز بصحبته، الذين آمنوا وجاهدوا وهاجروا في سبيل الله والذين آووا ونصروا، والذين آمنوا من بعدهم وهاجروا وجاهدوا وصبروا لو الذين جاءوا من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

أما بعد فان المنار يبشر قراءه في فاتحة المجلد الثالث والعشرين، وخاتمة ربع قرن من جهاد منشئه في خدمة الشرق باصلاح حال المسلمين، وبعد انقضاء جيل من صيحة أستاذيه الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين، بأن ليل الذل والعبودية قد عسعس، وصبح العزة والحرية قد تنفس، فقد ذهب طور الترف والفسوق المهلك للامم، والمفسد للحكومات والدول، وصرنا الى طور الشدائد المحصة للقلوب، المذكية لمصابيح العقول، الموقدة لنار الهمم، المظهرة لاستعداد الامم، بازالة الاحقاد، وجمع الكلمة على الجهاد، (٢٩:١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٢:٢١٤) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة، وجمع كلمة الامة، بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن، وماهدى اليه من سننه المطردة في أطوار الانسان، عالمين أن هداية القلم واللسان، لا يغيران مارسخ في القلوب والاذهان، الا بقدر تربية كوارث أحداث الزمان، وإنما تتغير أحوال الامم بتغير الاعمال، التي تنبعث عما ثبت في الانفس من الافكار وملكات الاخلاق، (١٣:١١ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (٨:٥٤ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم)

ألا وانه قد ابيَ الاوان ، للعمل بما أرشد اليه الامامان، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من اهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والافغان ، فهاؤم اقرؤا بعض قواعدهما التي نشراها في الشرق ، في مثل هذا الشهر من السنة الاولى بعد ثلاثمائة والف:

﴿ خفيت مذاهب الطامعين أزمانا ثم ظهرت، بدأت على طرق ربما ﴾

﴿ لا تنكرها الانفس ثم اعترفت، أوغل الاقوياء من الامم في سيرهم بالضعفاء ﴾

﴿ حتى تجاوزوا بيداء الفكر، وسحروا ألبابهم حتى أذهلوهم عن أنفسهم ﴾

﴿ وخرجوا بهم عن محيط النظر، وبلغوا بهم من الضيم حدًّا لا تحتمله ﴾

﴿ النفوس البشرية

﴿ ذهب أقوام الى ما يسوله الوهم، ويغري به شيطان الخيال ، فظنوا ﴾

﴿ أن القوة الآلية وان قل عمالها ، يدوم لها السلطان على الكثرة العددية ﴾

﴿ وان اتفقت احادها ، بل زعموا أنه يمكن استهلاك الجم الغفير ، في النزر ﴾

﴿ اليسير ، وهو زعم يأباه القياس ، بل يبطله البرهان، فان تقلبت الحوادث ﴾

﴿ في الازمان البعيدة والقريبة ناطقة بأنه ان ساغ أن عشيرة قليلة العدد ﴾

﴿ فنيت في سواد أمة عظيمة ونسيت تلك العشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز ﴾

﴿ في زمن من الازمان اتحاد أمة أو ملة كبيرة بقوة أمة تماثلها في العدد أو ﴾

﴿ تكون منها على نسبة متقاربة وان بلغت القوة أقصى ما يمثله الخيال ﴾

﴿ والذي يحكم به العقل الصريح ، ويشهد به سير الاجتماع الانساني ﴾

﴿ من يوم علم تاريخه الى اليوم: أن الامم الكبيرة اذا عراها ضعف لافتراق ﴾

﴿ في الكلمة ، أو غفلة عن عاقبة لا تحمد ، أو ركون الى راحة لا تدوم، ﴾

﴿ أو افتتان بنعيم يزول، ثم صالت عليها قوة أجنبية أزعجتها ونهبتها بعض ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ التنبيه ، فاذا توالت عليها وخزات الحوادث وأقلقتها آلامها فزعت الى ﴾
﴿ استبقاء الموجود ، ورد المفقود ، ولم تجد بدا من طلب النجاة من أي ﴾
﴿ سبيل ، وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية ، وهي ما تكون بالتئام افرادها ﴾
﴿ والتحام آحادها ، وان الالهام الالهي والاحساس الفطري والتعليم ﴾
﴿ الشرعي — ترشدها الى أن لا حاجة لها الى ماوراء هذا الاتحاد ﴾
﴿ وهو أيسر شيء عليها

﴿ ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والمادة ما بلغت ﴾
﴿ اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل ﴾
﴿ تحت الطاقة ويسمه الامكان ، فاذا تجاوز الاستطاعة كرت النفوس الى ﴾
﴿ قواها ، واستأسد ذئبها ، وتنمر ثعلبها ، والتمست خلاصها ، ولن تعدم ﴾
﴿ عند الطلب رشادا

﴿ ربما تخطىء مرة فتكون عليها الدائرة ، لكن ما يصيبها من زلة ﴾
﴿ الخطأ ، يلهمها تداركه مافرط ، والاحتراس من الوقوع في مثله ، فتصيب ﴾
﴿ اخرى فيكون لها الظفر والغلبة ، وان الحركة التي تنبعث لدفع مالا ﴾
﴿ يطاق اذا قام بتدبيرها القيِّم عليها ومدبر لسيرها ، لا يكفي في توقيف ﴾
﴿ سريانها أو محو آثارها قهر ذلك القيم ، واهلاك ذلك المدبِّر ، فان العلة ﴾
﴿ ما دامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها ، فان ذهب قيِّمٌ خلفهُ ﴾
﴿ آخر أوسع منه خبرة وأنفذ بصيرة . نعم يمكن تخفيف الأثر أو ازالته بإزالة ﴾
﴿ علته ورفع أسبابه

﴿ جرت عادة الامم أن تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق ﴾
﴿ والعادات والمشارب وان لم يكلفها بزائد عما كانت تدين به لمن هو على ﴾
﴿ شاكلتها ، فكيف بها اذا حملها ما لا طاقة لها به ؟ لا ريب أنها تستنكره ، ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وان كانت تستكبره، وكلما أنكرته بعدت عن الميل اليه، وكلما تباعدت منه ﴾
﴿ لجهة كونه غريبا تقرب بعضها من بعض، فعند ذلك تستصغره فتلفظه ﴾
﴿ كما تلفظ النواة، وما كان ذلك بغريب
﴿ ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف ﴾
﴿ في الجنسية والمشرب ، فترى الاتحاد لدفع مايعمها من الخطر، ألزم من ﴾
﴿ التحزب للجنس والمذهب ، وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة ﴾
﴿ البشرية الى الاتفاق أشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة ﴾
﴿ أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسسنا بحركة فكرية في أغلب أنحاء ﴾
﴿ المشرق في هذه الايام — كل يطلب خلاصا ويبتغي نجاة وينتحل لذلك ﴾
﴿ من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره على درجته من الجودة ﴾
﴿ والأفن ، وان العقلاء في كثير من أصقاعه يتفكرون في جعل القوى ﴾
﴿ المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟
﴿ بلى كان هذا أمرا ينتظره المستبصر، وان عمي عنه الطامع، وليس ﴾
﴿ في الإمكان اقناع الطامعين بالبرهان ، ولكن ما يأتي به الزمان من ﴾
﴿ عاداته في أبنائه، بل ما يجري به القضاء الالهي من سنة الله في خلقه، ﴾
﴿ سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون
﴿ بلغ الاجحاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته ، ﴾
﴿ وأدرك المتغلب منهم نكايته، خصوصا في المسلمين منهم، فمنهم ملوك انزلوا ﴾
﴿ عن عروشهم جورا ، وذوو حقوق في الامرة حرموا حقوقهم ظلما، ﴾
﴿ وأعزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، ﴾
﴿ وأصحاء اضحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما، ولم تبق طبقة من الطبقات ﴾
﴿ الا وقد مسها الضر من إفراط الطامعين في أطماعهم خصوصا من جزاء ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الاراضي المصرية من نحو خمس ﴾
﴿ سنوات بايدي ذوي المطامع فيها: حملوا الى البلاد مالا تعرفه فدهشت ﴾
﴿ عقولها، وشدوا عليها بما لا تألفه فحارت ألبابها ، وألزموها ماليس في ﴾
﴿ قدرتها فاستعصت عليه قواها، وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم ﴾
﴿ العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسيلة لنيل المطمع، فكانت الحركة العرابية ﴾
﴿ العشواء فاتخذوها ذريعة لما كانوا له طالبين، فاندفع بهم سيل المصاعب ﴾
﴿ بل طوفان المصائب على تلك البلاد ، وظنوا بلوغ الارب ولكن ﴾
﴿ أخطأ الظن وهموا بما لم ينالوا — الى ان قال —

﴿ ولو أنهم تركوا الامر من ذلك الوقت لاربابه، وفوضوا تدارك ﴾
﴿ كل حادث للخبراء به ، والقادرين عليه العارفين بطريق مدافعته ، ﴾
﴿ وافتداء فائدته ، لحفظوا بذلك مصالحهم ، ونالوا ما كانوا يشتهون من ﴾
﴿ المنافع الوافرة ، بدون أن تزل لهم قدم، أو ينكس لهم علم

﴿ غير أنهم ركبوا الشطط وغرهم ما وجدوا من تفرق الكلمة ﴾
﴿ وتشتت الاهواء وهو أنفذ عواملهم وأفتكها ، وما علموا أنه وان كان ﴾
﴿ ذريع الفتك الا أنه سريع العطب، وما أسرع أن يتحول عند اشتداد ﴾
﴿ الخطوب الى عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين، فان بلاء الجور اذا ﴾
﴿ حل بشطر من الامة وهو في منه بما فيها كانت سلامة لبعض تعزية للمصابين ﴾
﴿ وحجاب غفلة للسالمين، يحول بينهم وبين الاحساس بما اصاب اخوانهم ﴾
﴿ أما اذا عم الضرر ، فلا محالة يحيط بهم الضجر ، ويعز عليهم الصبر ، ﴾
﴿ فيندفعون الى ما فيه خيرهم، ولا خير فيه لغيرهم

﴿ ان الفجيعة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة، وجددت أحزانا ﴾
﴿ لم تكن في الحسبان، وسرى الالم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ مداركهم ، وهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ﴾
﴿ ولا نأمن أن يصير التنفس زفيراً ، بل ... بل يكون صاعقة تمزق ﴾
﴿ مسامع من أصمه الطمع .

﴿ ان اولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس ﴾
﴿ لا كتائب له في فتوحاته الا المداهاة ، ولا فيالق يسوقها للاستملاك سوى ﴾
﴿ المحاباة ، ولا اسنة يحفظ بها ما تمتد اليه يده الا المراضاة ، يظهر بصور ﴾
﴿ مختلفة الالوان ، متقاربة الاشكال ، كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ﴾
﴿ ممالكهم ، ومثبت مراكز الامراء ، ومسكن الفتن ، ومخلص الحكومات ﴾
﴿ من غوائل العصيان ، وواقي مصالح المغلوبين ، فكان أول ما يجب عليه ﴾
﴿ ملاحظته في سيره هذا أن لا يأتي من أعماله بما يهتك هذا الستر الرقيق ﴾
﴿ الذي يكفي لتمزيقه رجع البصر ، وكر النظر ، وأن يتحاشى العنف مع أمة ﴾
﴿ يشهد تاريخها بأنها اذا حنقت خنقت ، وليس له أن يغتر بعدم مكنتهم وهو ﴾
﴿ يعلم أن الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط ، ولا يعدم المتحدون قويا ﴾
﴿ شديد البأس يساعدهم بما يلزمهم لترويج سياسته ، وان المغيظ لا يبالي ﴾
﴿ في الايقاع بمناوئه أسلم اوعطب ، فهو يضر ليضر ، وان مسه الضر ... ﴾

﴿ ان الرزايا الاخيرة التي حلت بأمم مواقع الشرق جددت الروابط ، ﴾
﴿ وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها ، المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ﴾
﴿ ساكنيها ، فأيقظت افكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة ﴾
﴿ امرهم ، مع ملاحظة العلل التي أدت بهم الى ما هم فيه ، فتقاربوا في ﴾
﴿ النظر ، وتواصلوا في طلب الحق ، وعمدوا الى معالجة علل الضعف ، ﴾
﴿ راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ، ومؤملين ان تمهد لهم ﴾
﴿ الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية الدين والشرف ، وان في الحاضر ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ منها لنهزة تغنمونها واليها بسطوا أكفهم، ولا يخالونها نفوتهم، ولئن فاتت ﴾
﴿ فكم في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور .
﴿ تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار ﴾
﴿ خصوصا البلاد الهندية والمصرية، وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من ﴾
﴿ كل وجه، ويوحدون كلمة الحق في كل صقع، لا ينون في السعي ولا يقصرون ﴾
﴿ في الجهد، ولو أفضي بهم ذلك الى أقصى مايشفق منه حي على حياته الخ ﴾

هذا بعض ما نشره يومئذ ذانكم الامامان الحكيمان . ولو كان الشرق مستعدا له في زمنهما كاستعداده في هذا الزمان؛ لما رسخ قدم الاحتلال في مصر والسودان ، ولكان الشرق على غير ما هو عليه الآن. وحسبهما أنهما هما السابقان، والموقظان المرشدان ، وان زعيم مصر اليوم ليفتخر بأنهما هما المربيان لعقله واراته، ويشهد بأنهما هما النافخان لروح الوطنية في قومه وأمته ؛ كما يفتخر المنار بأنه المحيي لذكرهما ، والناشر لدعوتهما ، والمقفي على آثارهما ، ونسأله تعالى ان يتم لهذه الامة، ما ظهرت أوائل فضله به من جمع الكلمة ، ويكمل لخلفها ، ما صدق به وعد سلفها، بأن يستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم بجعلهم من الصالحين ، (ونُريدُ ان نَمنَّ على الذين استُضعِفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

منشيء المنار ومحرره محمد رشيد رضا

(الدعوة الى انتقاد المنار والنصيحة له)

نذكر قراء المنار في جميع الاقطار بما جرينا على مطالبتهم به في رأس كل عام — أن يذكرونا بما عسى أن يروه من الخطأ فيه سواء كان ذلك في المسائل الدينية والعلمية أو في مصلحة الامة ، ونعدهم بنشر ما يتفضلون بكتابته الينا ملتزمين فيه لشروطنا ، فاننا لا نكتب الا ما نرى انه الحق وان فيه المصلحة، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم صلى الله عليه وسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته.) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء. واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ سؤال عن الاسترقاق المعهود في هذا الزمان ﴾

(س١) من احد القراء في سنغافورة نشرناه بنصه وغلطه :

ما قول علماء الاسلام أدام الله بهم النفع للخاص والعام فيما يتعاطاه اهالي بعض الجهات وذلك أن احدهم يأخذ من احد الشينة وهم مشركون بنته الصغيرة بثمن فيربيها ثم يتسراها أو يبيعها الى آخر مثلا ويستولدها فهل يجوز ذلك والحال أن حكومة تلك الجهة كافرة تمنع ذلك وتعاقب عليه بفرض ثبوته لديها لمنعها بيع الرقيق والفاعل لذلك انما يفعله بخفية وبصورة استخدام ومتى خرجت تلك البنت من عنده وامتنعت منه لا يقدر هو ولا غيره على ردها بحال — أو لا يجوز ذلك أو يكون مجرد شراها من والدها أو والدتها استيلاء تملك به فيجوز تسريها وبيعها؟ وان كان الحال ما ذكر واذا قلتم بالملك فهل يختص بها المشتري أو يسلك بها مسلك الفيء؟ أفيدوا فان المسألة واقعة ولا يخفى ما يترتب عليها من هتك الابضاع وضياع الانساب وقد استشكل ذلك بعض طلبة العلم وفهم بديهة أن مجرد الشراء والحال ما ذكر لا يملك به لان الملك هو الاستيلاء لا الشراء كما نص عليه ومن لا يقدر على قهره ليس مستولى عليه، فالمسئول من اهل العلم توضيح هذه المسئلة بما فيها من خلاف وأقوال بما يطلع الكاتب مذهبيا كان غيره وفي أنه هل يختص بها المشتري فلا يجب عليه تخميسها أو لا يجب؟ فلعل شيئا من الاقوال يحمل من وقع في شيء من ذلك أفيدونا وأوضحوا وبينوا فان المسئلة وقع فيها كثير من الناس وحرجت منها الصدور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وماذا يكون الحكم في الاولاد من هذا الوطء لو قيل بفساد وجه التملك لا عدمكم المسلمون

(ج) ليعلم المسلمون في سنغافورة وفي سائر بلاد الاسلام ان الله تعالى خلق البشر احراراً وان الحرية حق لكل فرد ولكل جماعة أو شعب منهم بفطرة الله وشرعه كما كتب الفاروق رضي الله عنه الى عمرو بن العاص لما بلغه أن ابنه ضرب غلاما قبطيا « يا عمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً » وان الرق كان عادة اجتماعية عمت بها البلوى حتى كانت تكون في بعض الاحيان من الضروريات التي تختل بدونها بعض المصالح العامة . وكان العرف بين الامم والدول أن الدولة الظافرة في الحرب تملك الرقاب كما تملك الاعيان مما تستولي عليه

فلما جاء الاصلاح الاسلامي فتح أبوابا كثيرة لتحرير الرقيق ولم يحرم الاسترقاق من اول الامر تحريماً قطعيا لئلا ليكون المسلمون وحدهم عرضة للاسترقاق اذا غلبوا في الحرب وهذه علة صحيحة كنا غافلين عنها فهذا أمر لا يمكن ابطاله الا بتواطؤ بين الامم ولا سيما الحربية منها كما جرى أهل هذا العصر ووافقتهم عليه الدولة العثمانية لانه من مقاصد الشرع لا من محظوراته — ولان البشر يشق عليهم إبطال العادات الراسخة دفعة واحدة ولا سيما اذا كانت مصالحهم مشتبكة بها ولأن بعض الرق كان يكون لمصلحة الارقاء في بعض الاحوال كأن يقتل رجال قبيلة ويبقى النساء والاطفال لا ملجأ لهم ولا عائل ؛ وقلما يقع مثل هذا في زماننا لان شؤون العمران فيه قد تبدلت ، والذي عليه فقهاء المذاهب المعروفة كلها ان الاسترقاق للسبي والاسرى جائز لا واجب ولا مندوب لذاته لانه ضرورة كالحرب نفسها وانه مفوض الى الامام الاعظم يعمل فيه وفيما يقابله بما يرى فيه المصلحة بمشاورة أهل الحل والعقد ويشترط فيه ان يكون في حرب شرعية مبنية على تبليغ دعوة الاسلام وحمايتها وحفظ بلاد المسلمين بالشروط المعروفة في كتب الفقه ، ويقابله المن على من ذكر أي اطلاقهم بدون مقابل أو فداء أسرى المسلمين عند قومهم بهم ، وهذا مقدم على غيره عند التعارض بالضرورة على خلاف فيه وفي قتل الاسرى . وقد خير الله رسوله (ص) في هذين الامرين الاخيرين بسورة القتال ولم يذكر الاسترقاق فقال (فإما منا بعد وإما فداء) وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من مجلدات المنار السابقة كالرد على خطبة لورد كرومر الشهيرة وغيره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعلم من هذا أن ما يجري عليه الناس من اغتصاب بعض أولاد الزنوج أو « الشينة » الصينيين أو الجركس أو شرائهم من آبائهم وأوليائهم لا يعد استرقاقا شرعيا فلا تملك به الاعيان ولا الابضاع وإن التسري بالمغصوبة أو المشتراة من والدها أو غيره حرام وأهون ما يقال في فاعله جاهلا حكم الشرع فيه ان وطأه وطء شبهة وولده منها ولد شبهة وإلا فهو زنا ظاهر ، لا يستحله أحد يؤمن بالله واليوم والآخرة

وما ذكر في السؤال عن بعض طلبة العلم من ان سبب الملك هو الاستيلاء دون مجرد الشراء لا محل له في النوازل المسؤل عنها فان شرط كون الاستيلاء الصحيح مملكا قابلية المحل للملك وهو الحربي المشرك الذي يسبى بالحرب الدينية بعد إباء الاسلام والجزية وبعد ترجيح امام المسلمين لاسترقاقه كما تقدم فهنا يختلف الفقهاء في حقيقة الاستيلاء الملك هل يشترط فيه دار الاسلام ام يحصل بالحيازة في دار الحرب ، وقد صرح الفقهاء بعدم جواز بيع الكافر لاولاده في دار الحرب ولا في دار الاسلام

وانا لنعجب ممن يهتم بأمر الابضاع والانساب والحلال والحرام ثم يصر على اتباع شهوته في الاستمتاع بهؤلاء الحرائر من السود او الصفر او البيض ويسأل عن نوادر الخلاف بين الفقهاء وشواذ الأقوال ليجد لنفسه عذراً لبقائه على ضلاله ؟ ألا فليتوبوا الى الله تعالى وليتركوا هذه الرذيلة وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ مسيح الهند ﴾

(س ٢) من أحد القراء في زنجبار

نكتب ملخص هذا السؤال لكثرة الغلط في عبارته لغة وإملاء وإعرابا وهو أن الدعوة الى مسيح الهند غلام أحمد القادياني قد بثت في زنجبار بأنه « النبي المسيح المهدي » وان مذهب أتباعه ودعاته هو مذهب خوجه كمال الدين الذي في لندن والامامين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده. ويقول السائل إنهم قد غشوا الناس بهذه الاسماء وصار الناس بالمجادلات حزبين أحدهما مصدق والآخر مكذب ، وسألنا هل عندنا كتاب في الرد عليهم فنرسله اليه ؟ وقد أرسل الينا صورة القادياني التي يوزعونها هنالك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ج) إن غلام أحمد القادياني قد ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وأن البسملة تدل بلفظ الرحمن الرحيم على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله وان غلام أحمد القادياني هو المسيح عيسى بن مريم، وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد، وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن، على أنها كثيرة السخف والغلط والهذيان، وبكتاب في تفسير الفاتحة سماه (إعجاز أحمدي) واكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الالفاظ بحقيقتها ولا بضرب من ضروب المجاز ولا الكناية بل هي دعاو باطلة كادعاء دلالة البسملة على نبوة محمد (ص) ومسيحيته، وكان يتأول الاحاديث الواردة في نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء في الشام وبكونه يقتل الدجال ويفعل كيت وكيت أو يردها بزعم انها مخالفة للقرآن، والقرآن لا يدل عليه بل ولا على نزول المسيح عيسى بن مريم أيضا كما بيناه في المنار من قبل. والآيتان اللتان استدل بهما بعضهم على ذلك ليستا نصا — ولا ظاهرا فيه —

فأما قوله تعالى في المسيح (٤: ١٧ وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) فانه لا يدل على ماذهب اليه بعضهم في تأويل الآية الا بتكلف بعيد لا مسوغ له كما بيناه في تفسيرها (١) وأما قوله تعالى (٤٣: و ٦١ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) بعد قوله عز وجل (٤٣: ٥٧ ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ٥٨ وقالوا أ آلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) ففي مرجع الضمير في قوله (وإنه لعلم للساعة) وجهان ذكرهما المفسرون (احدهما) أنه القرآن فانه ذكر أولا رسالة موسى ثم رسالة عيسى لاجل الاستدلال بهما على رسالة محمد (عليهم الصلاة والسلام) وصدق القرآن (ثانيهما) أنه عيسى عليه السلام وقد ذكروا لكونه علما للساعة وجوها أظهرها انه إحياؤه لبعض الموتى وحياة صورة الطير من الطين بنفخه فيها فانه دليل يعلم به ان البعث ممكن تتعلق به قدرة الله تعالى وواقع بتأييده تعالى لعيسى وجعل احياء الميت وحياة الجماد من آياته الدالة على رسالته. وقد اوضحنا هذا في المنار من قبل

---

(١) راجع ص ٨١٥ و ٩٠٢ م ١٥ منار وص ٢١ و ٩٥ ج ٦ تفسير وبينا حقيقة مسيح الهند وبهاء البابية في ص ٩٠٠ — ٩٠٢ م ١٢ وص ٤٢ و ٥٧ ج ٦ تفسير

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد رد عليه كثير من علماء الهند وناظروه فافندوا دعوته ورددنا عليه في المجلد الثالث والمجلد الخامس من المنار وترجمت ردنا عليه الجرائد الهندية في حياته فساءه ذلك وآلمه حتى حمله على تأليف كتاب في شتمنا وتهديدنا يضحك الثكلى ، سماه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) فانه خلط فيه الهزل بالجد ، وجمع بين الذم والمدح ، ولم يخل من المجون ، ووحي شياطين الجنون ، ومما توعدني به فيه زاعماً أنه قاله بالوحي قوله بعد كلام ، « وعمد أن يؤلمني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع وألقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتنة وحضى ، (١) وقال ماقال وما أمعن كأولي النهى ، — الى أن قال — سيهزم فلا يرى ، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى » الخ (٢)

ولو قدر الله تعالى جعل وفاتنا أو نكبة تقعد بنا أو بالمنار بعد صدور كتابه هذا لادعى هو وأتباعه أنها مصداق دعواه ، ولكن الله لم يزدنا الا صحة وقوة وحجة ، ولم يزد المنار بفضله الا تأييداً وانتشاراً وقبول كلمة ، اذ رددنا عليه بعد هذا عدة مرات ، فكان هو المنهزم الى أن مات

ولكن كان من الغريب أن أتباعه قد مرنوا على المناظرة والجدل فانصرف أناس منهم الى الدعوة الى الاسلام في الهند وانكلترة والولايات المتحدة الاميركية ، وما أعرف لهم بدعة غير هذه الضلالة الوهمية ، التي زاحموا بها البابية البهائية ، ولو تركوها للقي دعاتهم للاسلام مساعدة وتعضيداً من جميع المسلمين ، وما أدري أي فائدة يطلبون باصرارهم عليها ، فانهم ليسوا كالبهائية الذين اخترع دعاتهم ديناً جديداً ملفقا أصابوا به مجداً وعظمة باقرار من اشربت قلوبهم الوثنية بأن البهاء الهم وربهم حتى أن خليفته وابنه ، الذي فعل في تأسيس هذا الدين ما عجز قبله أبوه عن مثله ، قد لقب نفسه بعبد البهاء

وكنت أظن أن هؤلاء القاديانية قد رجعوا عن هذه الدعوى الخرافية حتى اذا ما زرت الهند جاءني وفد منهم للسلام علي في (لكهنؤ) ودعوني الى زيارة بلدهم . فعلمت منهم أنهم لا يزالون على غرورهم ؛ ولم يتسع الوقت لاختبارهم التام بزيارة بلدتهم ، ولا يبعد أن يكون خوجة كمال الدين منهم فانه ليس من كبار العلماء الاعلام ، وحاشا حكيم الاسلام والاستاذ الامام ، أن يكونا من اهل هذه الاوهام

(١) حضأ النار بالهمز وحضاها بخصوها بالواو اذا حركها لتشتعل ، واستعملها هو بالياء

(٢) يراجع ص ٣١٧ — ٣٢٠ من مجلد المنار الخامس وص ٩٠٠ م ١٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ اشكال في بيت من الشعر ﴾

(س٣) من صاحب الامضاء في لنجة (في خليج فارس) في ١٠ ربيع الاول ١٣٤٠

حضرة العلامة المفضال الاستاذ الامام المصلح الفهامة السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار لا زال مفيداً للاسلام ومعيداً للانام ، المرجو بيان إعراب هذا البيت فقد وصلنا اليه في الاشموني في المدرسة الرحمانية وعجزنا عنه لأن اعرابه ينافي معناه وبالعكس فسألنا حضرة الوالد خليصكم عنه فادعى أن فيه تحريفاً ولم نقتنع فصدعنا حضرتكم لتزيلوا الاشكال ولم تزالوا كذلك

(وكائن في الاباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا)

وقد راجعنا المواد التي عندنا كالصبان وحاشية ابن سعيد وشرح شواهد الرضي وشرح العيني وشرح شواهد المغني فلم نجد مايشفي العليل ويطفي الغليل والمرجو أن تشرفوني بالجواب فنحن من المحسوبين ولم يزل حضرة الوالد يحثنا على ذلك

من أسير احسانكم — محمد بن عبد الرحمن سلطان العلماء بلنجة

(ج) إذا كنتم لم تطلعوا على ما قاله ابن هشام في روايتي البيت ووجوه اعراب الرواية المشكلة من المغني فالعجب منكم كيف راجعتم فيما عندكم من الكتب شرح شواهد المغني ولم تراجعوا المغني نفسه أولا ، واذا كنتم قد اطلعتم على مافي المغني — ورأيتم فيه أن في البيت روايتين وما ذكره في اعراب الرواية المشكلة — فالعجب منكم كيف لم تكتفوا بما فيه وما بعده قول لقائل؟ والمختار عندنا في البيت أن الرواية التي عني بنقلها النحاة ليشحذوا قرائحهم باعرابها غير صحيحة بل هي من تحريف بعض الرواة وفاقا لذوقي والذكم السليم وان الرواية الصحيحة

وكائن بالاباطح من صديق يراه إن أصبت هو المصابا

أي إن أصبت أنا يرى أنه هو المصاب لانه يصدق وده ، أنزلني منه منزلة نفسه ، وماينبغي لمن علم بنقل الروايتين أن يعرض عن الواضحة ، ويضيع الوقت النفيس في الرواية المشكلة ، التي لايمكن تطبيقها على القواعد وفهم معنى صحيح لها الا بتكلف الاحتمالات البعيدة التي ذكرها من وقفوا أعمارهم لاستقصاء أمثالها من الاغلاط أو الشواذ لاجل الاحاطة بفروع فن النحو ونوادره ، وتقييد أوابده وشوارده ،

وقد أورد صاحب المغني البيت في الكلام على (شرح حال الضمير المسمى فصلا وعماداً وهو في الباب الرابع (ص ١٠٥ ج ٢)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلة الحقيقية لسعادة الانسان (*)

لسيدنا آية العصر، وسر حكمة الدهر، ودرة تاج الحكماء. وواسطة عقد البلغاء، من لا تستوعب وصفه الاقلام وما نسقت، والطروس وما وسقت، استاذنا الاكبر، الفيلسوف الاشهر، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله

ان الممكن بالامكان الخاص (وهو الذي لا يلزم من وجوده ولا من عدمه محال) يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها، ولا ريب في أن السعادة من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص، وانها العلة الغائية لحركة كل فرد من أفراد الانسان حسية كانت تلك الحركة أو معنوية، اذ لو لوحظت مساعيه آناء الليل وأطراف النهار، وأخذه بوسائل الحرف من زراعة وصناعة وتجارة، وجده في تحصيل العلوم والفنون، وارتكابه المصاعب، في نيل المراتب والمناصب، لما وجد لها من باعث أو داع سوى طلب السعادة، مع أنك لا تجد من نالها أو دنا منها ولم تنقل في مراتب الشؤون وتقلب في درجات التطورات، وما ذلك الا لعدم تحقق علتها، فعلينا أن نبحث عن تلك العلة وعن الاسباب التي أوجبت عدم تحققها، حتى يتبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول:

ان بين السعادة والصحة شبها كليا، فكما أن صحة الجسم هي نتيجة ومعلولة للتناسب الطبيعي بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه وكمال الاعتدال فيما تكونت عنه تلك الاعضاء وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان والمكان والمطعم والمشرب والملبس فيكون زوالها لزوال هذه الامور كلها أو بعضها — كذلك سعادة الانسان هي معلولة للتناسب الحقيقي في الاجتماعات المنزلية وقيام كل من اركان المنزل بأداء وظيفته، وللتعادل التام في الائتلافات المدنية بأن تكون المدينة فيها من الحرف

(*) هذا الاثر النفيس لاستاذنا موقظ الشرق رحمه الله تعالى كان فاتحة لكتاب (البيان في الانكليز والافغان) الذي كان مما أملاه حكيمنا ونشر في جريدة (مصر) التي أصدرها بأمره الاديبان السوريان الشهيران سليم النقاش وأديب اسحق وكانت لسان حاله؛ ومظهر آرائه وأقواله ثم طبع ذلك في كتاب مستقل بمطبعة جريدة مصر بالاسكندرية سنة ١٨٧٨ وكتب تحت الاسم هذه العبارة: « لسيدنا آية الحكمة، مجلى الجمال والجلال، ومظهر محاسن الكمال، أستاذنا الفيلسوف الطاهر الاروعة، النسيب ابن النسيب، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله » وقد كان لمقالات « البيان » المذكورة تأثير في الامة البريطانية حتى ردت عليها جرائدها فرد هو عليها ردا عرفت به عظيم شأنه وكان ذلك السبب الاول لمعرفة اسمه في أوربة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والصنائع ما يكفيها مؤنة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها مع حسن التعامل بين أرباب تلك الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل تساوي فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباطات العادلة بين الدول بأن تقف كل دولة عند حدها ،ولا تتعدى على حقوق غيرها ،وأن يمهد سبل التواصل بينها وبين باقي الدول لكمال التعاون والتوازر بين نوع الانسان وانتفاع كل من الآخر ، فيكون حصولها على السعادة بحصول تلك الامور وفقدها لفقد جميعها أو بعضها

وهذه الامور وان كانت ممكنة الحصول وجدّ الناس في التماسها ما استطاعوا الا أن هناك مانعا من الوصول اليها وهو اعتقاد كلّ كمال نفسه ونقص غيره، ونظره الى أفعاله بعين الرضى والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ولا أخل بشيء من واجباته وشؤونه ، ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه في العالم الانساني ؛ ويتمحل لاثبات ذلك بما تسوله له نفسه من الحجج والبراهين، وان أصابه العناء، ونزل به الشقاء، حسبهما من تهاون الغير فيما يلزمه واهماله مايجب عليه، مبرئا نفسه من أسباب ذلك، حتى لو أغفل شأنا من شؤونه يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان وتعذر عليه القيام به، ولو انتهك محظوراً من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه وانما الضرورة هي التي ساقته الى ارتكابه فهو مجبور لا مختار، مع أنه لا يلتمس للغير عذراً فيما يفوته أو يقع منه ولو كان في نفس الامر مجبوراً. ومن ثم وقع التضارب في الآراء والتدافع في الافعال والحركات ، وعمل كل على نقيض الآخر، فارتفع التناسب وانعدم التعادل وذهب الارتباط

أنظر الى حال الآباء مع الابناء والسادات مع الخدمة ، كيف أن كلا منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل حركته من متممات حركات الآخر يخالفه في أفعاله ويضاده في آرائه، معتقداً أنه لو لم يقصر ذلك الآخر في اداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت الراحة المنزلية وارتفع العناء — والى حال المشتركين في المدينة فان كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصنعة وتهذيبها وحسن التعامل وكف يد الشره والخيانة وضبط العهود والمواثيق واجتناب الكذب والاعتصام بحبل الصدق والوفاء لا يرى نفسه مخلا بشيء من ذلك وان اخل بجميعه ، ويزعم أن زوال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السعادة المدنية انما جاء من تهاون الآخرين

وتدبر حال الملوك مع رعاياها ترى كلا منهما يرمي الآخر بالاغراق وعدم الاعتدال ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ويبرئ نفسه من نسبة شيء من ذلك اليها .

فالملوك فضلا عما رسخ في نفوسهم من أن رتبتهم الملوكية ، إنما هي رتبة سماوية ساقتها اليهم يد العناية الالهية ، بسبب طيب عنصرهم، وطهارة طينتهم، يعتقدون أن لاقوام للرعية بدون وجودهم ، وأن لا غنى لها عنهم ، إذ هم يحفظون أموالها ، ويحقنون دماءها ، ويوفون لكل ذي حق حقه، وينتقمون للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغور لدفع ضرر المهاجمين ،فيرون أن لهم بذلك حق التصرف في أموال الرعية ودمائها ، وأنه يجب عليها طاعتهم ، والخضوع لسطوتهم وسلطتهم ، وامتثال أوامرهم واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها .

والرعايا يخاطبونهم قائلين لا مزية لكم علينا كما زعمتم،ولستم أطهر عنصراً ، ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناساً استولى عليكم حب الرئاسة وأسرتكم الشهوة واستعبدكم الهوى، فاستمالكم الى سلب راحتكم وراحة رعاياكم حرصاً على التغلب وطمعاً في توسيع دائرة السلطة وكسب الافتخار مينا ، وأما اعتقادكم ان لا قوام لنا الا بكم فأنى لكم صدق هذا الاعتقاد وقد أصبحتم كلا على كواهلنا : نحن نغرس ونحرث ، ونغزل ونحوك ، ونفصل ونخيط ، ونبني ونشيد، ونخترع الصنائع، ونتفنن في المعارف، وأنتم تأكلون وتشربون، وتلبسون وتسكنون، وتتمتعون بلذة الراحة . وأما ما تعللتم به من حفظ أموالنا وحقن دمائنا الى آخر ما ادعيتم فذلك إنما نشأ عن العظمة والكبرياء اللذين ثبتت أصولها في نفوسكم ، أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو منا ، وان الحافظ والحاقن والمنتقم إنما هو القانون والشريعة الحقة، وما أنتم الا منوطون بحفظها، والعمل في الناس بها ، فان قمتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقوم أودكم، فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا وتعبثوا بدمائنا وتلقوا بنا في هاوية الشقاوة، ثم تبتغوا طاعتنا وامتثالنا ، وترمونا بالتقصير والتهاون فيما وجب علينا

وذلك الذي ذكرناه فيما اذا لم يكن الملوك من المتغلبين المباينين للرعايا جنسا ومشربا، وأما المتغلبون من الملوك والمتغلب عليهم فكل منهما يزعم فوق ما ذكر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انه الوسيلة لمنفعة الآخر والواسطة لمصلحته ، وان الآخر قابل حسنته بالسيئة. ومنفعته بالمضرة .

مثلا ان الحكومة الانكليزية المتغلبة على الهنود تخاطبهم بقولها اني عمرت لكم المدن (كبمباي) و(كلكتا) و(كراجي) وأمثالها وزينتها بالابنية الشاهقة، والقصور الشائقة، ووطأت شوارعها ، ووسعت مسالكها، ورقشتها بالاغصان وزخرفتها بمروج وبساتين ، ومهدت لكم سبل التجارة ، وسهلت لكم أسباب الزراعة ، وفتحت أبواب الثروة بما مددت من الاسلاك البرقية في ارجاء بلادكم، وأنشأت من الطرق الحديدية في أنحائها، وحفرت من الترع والانهار، ووضعت من القناطر ، وكذلك أسست لكم المدارس ، ورفعت عنكم ظلم النوابين وقهر الراجاوات، وأنتم مع ذلك أبيتم الا الشقاق والنفاق، ونبذ الطاعة وسلب الراحة..

وإن الهنود يجيبونها متظلمين مستغيثين منها قائلين لها : انك ما عمرت تلك المدن إلا بعد أن خربت بلاداً كانت زينة الارض وفخار الابناء (شيو) و (وشنو) و(كهكلي) و(مرشدآباد) و (عظيم آباد) و (اكبرآباد) و(اله آباد) و (دهلي) و (رايبود) و (فيض آباد) و (لكهنؤ) و (حيدرآباد) وغيرها من البلدان ، وإنك ما مددت الاسلاك البرقية ولا أنشأت الطرق الحديدية ، ولا حفرت الترع والانهار ولا وضعت القناطر الا لنزف مادة ثروتنا وتسهيل سبل التجارة لساكني جزيرة بريتانيا وتوسيع دائرة ثروتهم ، وإلا فما بالنا أصبحنا على فقر وفاقة وقد نفدت أموالنا ، وذهبت ثروتنا ، ومات الكثير منا يتضورجوعا ؟ فان زعمت أن ذلك لنقص في فطرتنا ، وضيق في مداركنا ، فيالله العجب من أبناء (بريتوس) الذين مضت عليهم أحقاب متطاولة يهيمون في أودية التوحش والتبربر اذ يعتقدون النقص وعدم الاستعداد في أولاد (برهما) و (مهاديو) مؤسسي شرائع الانسانية وواضعي قوانين المدنية .

وأما المدارس التي تمنين علينا بتأسيسها فلم تكن لمصلحة تعود علينا اذ لو كانت لذلك لاحتوت على العلوم والفنون والصنائع مع أنها لم تنشأ إلا لتعليم اللغة الانجليزية المتعجرفة الخشنة لابناء اللغة (السنسكريتية) اللغة المقدسة السماوية حتى تستعمليهم في ادارة مصالحك في تلك الممالك الشاسعة .

وأما دعواك رفع ظلم النوابين وقهر الراجوات عنا، فما يضحك الثكلى ؛ ويبكي المستيئس الذي جاءته البشرى ، فان الظلم إذ ذاك كان قاصراً على البعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وظلمك الآن قد عم وطم ؛ وإن الثروة والابهة والجلالة والشأن التي يزدهي بها الآن أهالي بريتانيا كان المتمع بها وقتئذ أبناء وطننا ؛ إذ النوابون والراجوات وغيرهم من الامراء والكبراء وحاشيتهم وخاصتهم كانوا من أبنائنا ومشاركينا في الجنسية ، وكنا نتيه بهم فخاراً على سائر الممالك والاقطار ، فكيف بك أن تمني علينا بما منحت زوراومينا . وانا لا نراك أيتها المتغلبة علينا الا كالعلق مصصت دماءنا ، بل كالسلاخ سلخت جلودنا لتتخذيها أحذية لنعال البريتانيين . على أنك لم تكتفي بهذا وذاك بل تريدين أن تستعملي عظامنا النخره لتصفية السكر في معاملك

وتبصر في شأن الملوك بعضها مع بعض فان كل واحد منهم يرى بما اقيم من الحجج القاطعة أنه على صراط العدل وحد الاستقامة لا يقدم على محاربة ولا يحجم عنها ولا يضع غرامة أو يأخذ من ممالك الآخر شيئا الا وهو في ذلك محق عادل ، مثلا ملك الروسيين يحتج لحرب العثمانيين بأن أنين النصارى من رعاياهم قد ذهب براحته وتجافى به عن مضجعه وحرك فيه حاسة الشفقة حتى دعته الرحمة والانسانية للاخذ بناصرهم واستنقاذهم من ايديهم ، وتحريرهم من رق عبوديتهم ، من ..... والعثمانيون يدحضون حجته قائلين (اولا) لو كنت ممن تحركهم الشفقة والرحمة لكان الاحق بنيلها رعاياك المتحدون معك في المذهب من اهالي (لهستان) فادعواك هذه الاعض الرياء والمواربة (وثانيا) اننا لا نعامل رعايانا الا كمعاملة الآباء للابناء بدون تفرقة بين مذهب ومذهب وجنس وجنس ، وأوضح دليل على ذلك بقاؤهم على مذهبهم حافظين للغاتهم وجنسيتهم ، ولو أننا كنا نفرق بين المذاهب والاجناس كما تدعي لحملناهم على رفض مذاهبهم وتغيير لغاتهم ، وكنا قادرين على ذلك في وقت لم يكن لك فيه اسم ولا رسم ، بل لم تكن شيئا مذكورا

وكذلك امبراطور الفرنساويين بما ثبت عنده من البراهين البينة على طمع الجرمانيين وحرصهم وشرههم يرى لنفسه الحق في افتتاح الحرب عليهم . وامبراطور الالمانيين بما تحقق لديه من كبر الفرنساويين وعجبهم ومجاوزتهم الحد في أطوارهم يحسب أن من الواجب عليه أن يضم عليهم غرامة باهظة ويتسلط على قطعة واسعة من بلادهم لتذليل نفوسهم واضعاف قوتهم ، ليدفع بذلك شرهم ، ويأمن على نفسه وامته من تعديهم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودقق النظر في شؤون العقلاء والحكماء وذوي الآراء والمذاهب الذين يعتقدون أن الحق واحد في نفس الامر والواقع لا يتعدد كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هي ميزان النظر وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده قد انتهج كل واحد منهم منهجا واتخذ مشربا يناقض به الآخر ويعتقد أن دلائله المؤدية اليه هي المنطبقة على ذلك الميزان وان لا انطباق لدلائل غيره عليه

وارجع البصر الى احوال السارقين والقاتلين ونحوهم من مرتكبي الفواحش والشناعات في العالم الانساني ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الاعمال المجمع على قبحها من فاعلها الا بسبب هذه الخلة الذاتية، أعني اعتقاده كمال نفسه والنظر الى أعماله بعين الرضى — ضرورة أن الفعل انما يكون بعد الارادة التي لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على الترك ورؤيته خيراً منه وهو عين الرضى به

ومن غرائب آثار هذه الخلة ابرازها الحقيقة واحدة بصور مختلفة في نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه وشؤونه، فانك ترى زيداً من الناس مثلا وهو في رتبة دانية رؤوفا بالفقراء، رحيما بالضعفاء، شفيقا على المظلومين، ذاما للبخل والشح، مادحا للكرم والسخاء، مهتما بقضاء حوائج ذوي الحاجات، مدعيا للعفة، كارها للانكباب على الشهوة، مستهزئا بذوي التكاثر والتفاخر، مبغضا للكبرياء، متنفرا عن الارتشاء، مشمئزا من الاهمال في المصالح العامة والتهاون في الواجبات، مستهينا بالمستبدين بآرائهم، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم، مستقبحا تقديم المفضول على الفاضل لغرض يعود على ذاته، مستبشعاً لاعطاء المراتب لغير أهلها وحرمان مستحقيها منها، لائما على الغضب وإسراع العقوبة، مستفحشا للسفاهة والبذاء، محبا للوطن، محاميا عن الحرية، زاعما أنه لو آل الامر اليه لقام بصلاح العالم.

وإذا ارتقى الى رتبة سامية تجده قسي القلب على الفقراء زاعما أن التكفف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هربا من عناء الكسب — جافي الطبع على المظلومين مستدلا بأن المتظلمين أولو مكر ودهاء (اورياء) يعلنون خلاف مايسرون ويستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء للتغلب على حقوق غيرهم — بخيلا شحيحا متمسكا في ذلك بأن من مقتضيات الحزم أن تحرز الاموال وتودع المخازن لوقت اللزوم أو (إن الكرم والسخاء قبيحان عند السويديين من الافرنج) — متوانيا في الاخذ بيد المحتاجين متعللا بتراكم الاعمال عليه في وظيفته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المهمة وعدم تمكنه من إسعافهم — شرها شهويا محتجا بأنه بشرهه وانصبابه الى الشهوة يؤدي حق الطبيعة — فخوراً برتب وشؤون ساعده على نيلها البخت والصدفة بدون استحقاق مع أنه ما أدى حقها ساعة من دهره مرضيا نفسه في ذلك بكلمة «العبد العاجز» أو (إفتخار أولمسون) (١) متكبراً يظن أنه وقور من الواجبات عليه إقامة الحجاب على بابه، والذائدين عن أعتابه، قياما بحق رتبته ولازم شأنه — مرتشيا يقنع نفسه بأن ما يأخذه حق تبيح له الشريعة أخذه إما لأنه جمالة على عمله أو هدية من صديق — مهملا في المصالح العامة متهاونا فيها معتذراً بأنه من آحاد الناس ليس في طوعه تقويمها. وما من مساعد يعاضده عليها. وقد أدى الواجب على شخصه — مستبداً برأيه معتقداً أنه قد بلغ من العقل والدراية الى حد تنحط دونه جميع أفكار العالم ويقصر عن إدراك غايته مدى أنظارهم، مع أنه أعمى البصر والبصيرة لا يرى ما تحت قدميه — مقدما للمفضول على الفاضل مستنداً الى سلامة قلب ذلك المفضول ولين عريكته وطلاقة وجهه. أي أنه (يهزله القاووق) وفي رواية (يمسح له جوخ) وأنه (سطري لجنابه العالي) (١) — رافعاً الي أسنى المراتب من لا يليق لادناها حاسباً نفسه طبيبا روحانياً خبيراً بأخلاق العالم وطبائعهم حكيما لا ينظر في أعماله إلا الى المصالح العامة — غضوبا سريع العقوبة يحسبها سياسة وتدبيراً مدنيا — سفيها بذيئا يرى أن الناس لا يستحقون سوى قبيح فعله وفحش قوله ولا يدركون مزية الآداب، ولا يقدرون الاديب حق قدره — خائنا لوطنه ساعيا في خرابه وإذلال أهله (خافيا لتيس اليوناني) ويعد نفسه في ذلك مجبوراً ملجأً — طالبا للاستعباد متشبثاً بأن الحرية لا تليق بالاهالي لعدم استعدادهم لها، بل إنها مما يوجب فسادهم لو نالوها — آيسا من صلاح العالم اذ يراهم لنقص قريحته ناقصي الاستعداد فاقدي القابلية، ويزعم أنه لو كان لهم نوع من التهيؤ للاصلاح لا تمه لهم بسعيه واجتهاده

ومن أغرب آثارها ان المتخلق بها مع كونه متصفا بأرذل الاخلاق وأشنع الخصال يعمى عن أنه متصف بها — مثلا يكون قسي القلب ويعتقد نفسه رحيما،

(١) كان السيد رحمه الله يملي وقلما كتب بيده مقالا وكان تلاميذه كالالفاني وأديب اسحق يكتبون كل ما يقوله حتى الكلام والامثال العامية التي يمزج بها الكلام عادة كهذه الجمل في الموضعين وكانت ذائعة في معاشري الحكام من الترك ولكن اكبرهم الاستاذ الامام كان يتصرف في العبارة ويجيزه ذلك السيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومتكبراً ويرى نفسه متواضعا. وهكذا باقي الخصال مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لأدركها وشدد عليه النكير فيها. حتى انك ترى كل واحد «كأنه» قد جعل على احدى عينيه نظارة معظمة (ميكرسكوب) ليقف على دقائق معايب معاشريه وعلى الاخرى نظارة رصدية (تلسكوب) لئلا يفوته أعمال البعداء عنه، وعلى احدى اذنيه موصلة الصوت (تليفون) لاستراق اخبار الناس كيلا يعزب عنه شيء من نقائصهم، وعلى الاخرى حافظة الصوت (فنوكراف) ليستحفظ قبائحهم لئلا يغيب عنه شيء منها ويقتدر على استحضارها وقت الحاجة عند ما يتحرك دولاب حقده وحسده، مع أن أقرب الاشياء اليه نفسه وهو لا يرى شيئا من معايبها، فهو اعمى حديد البصر وأصم قوي السمع،

فتمسا لها من خلة قضت على نوع الانسان بالاختلال وسوء الحال، وآذنته بالشقاء والعناء؛ وأوقعت الخبط في الاعمال والخلط في الاقوال، ولبست الحق بالباطل والزائف بالصافي والجيد بالرديء، وحسنت القبيح وقبحت الحسن، وأبرزت المعوج مستقيما والمستقيم معوجا.

ومن نظر بعين الحق وسبر الحقائق بنور البصيرة لا يجد لهذه الخلة أعني (اعتقاد كل كمال نفسه و نظره الى اعماله بعين الرضى) علة وسببا سوى حب الذات الذي هو غشاوة على عين العقل تمنعه من استطلاع الحقائق على ما هي عليه، ووقوفه عند حد الصواب في سير الافكار، بل هو متغلب على جميع الاحساسات النفسانية وحاكم على كلها بالتغيير. بل لا يختص حكمه بها اذ يتعدى الى الاحساسات الطبيعية أيضا. فانك ترى مشوه الوجه مختل الخلقة رث الثياب الذي قد تجسدت عليه الادران والاقذار اذا نظر الى صورته بهذه الصفة الرديئة في مرآة مثلا لا يشمئز ولا يستنكر، واذا وقع بصره على من بلواه في ذلك أخف من بلواه انفعلت نفسه واستنفر واستبشع.

وهذا الوصف أعني حب الذات الذي هو علة الشقاء والعناء من الاوصاف اللازمة لذات الانسان ما دام موجودا فلا ينفك الانسان عنه ولا هو يزايله، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلايا ه ونكباته الا باستعمال الانسان عقله ورجوعه اليه في جميع اموره، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات ورفض احكامه، وذلك أن يحكم على نفسه بما يراها عليه في مرآة غيره لا في مرآة نفسه (ما أجملك أيها الانسان المعجب في مرآة نفسك وما أقبحك في مرآة غيرك).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا الذي ذكرناه هو العلاج الحقيقي والوسيلة العظمى لوقوف كل عند حده ، وسعي كل لاستكمال نفسه ، اللذين هما مدار السعادة .

ولسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه فان منه ما قد يعود بسعادة ما على طائفة من الطوائف أو امة من الامم وهو حب الذات الداعي الى طلب المحمدة الحقة (١) وهو الذي يرتقي بصاحبه الى توجيه افكاره وأعماله نحو المصالح العمومية بدون أن يطلب في ذلك شيئا سوى الحمد وخلود الذكر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

كتاب الخلافة الاسلامية

مؤلفه باللغة الاوردية
مولانا أبو الكلام محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

مترجمه بالعربية
الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي
محرر جريدة (پيغام) الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى * وسلام على عباده الذين اصطفى

باب

(الخلافة)

« الخلافة » مصدر من خلف يخلف خلافة ، ومنها « الخليفة » من قولك « خلف فلان فلانا في هذا الامر ، اذا قام مقامه فيه بعده » (ابن فارس) « فالخليفة » هو الذي يخلف من قبله ويقوم مقامه إما بموته أو عزله أو غيبته أو نصبه إياه في منصبه وسلطته — وفي مفردات الامام الراغب الاصفهاني « الخلافة — النيابة عن الغير ، إما بغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف » « ص ١٥٥ »

وهذه الكلمة أيضاً من تلك المختارات اللغوية التي اختارها القرآن الحكيم ، فنقلها من معانيها اللغوية الى المعاني المصطلحة الشرعية « كالايمان والغيب والتقدير والبعث والصلاة » وغيرها من الكلمات التي انتقاها من اللغة لمعنى خاص به — فكلمة « الايمان » مثلا تستعمل في اللغة لليقين

١ الحق مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والطمانينة وزوال الخوف والشك — ولكن القرآن يستعملها في يقين أخص من الاول ، يصحبه اقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فصارت اصطلاحا خاصا، دالة على معنى خاص به دون دلالتها في اللغة —

وكذلك كلمة « الخلافة » كان معناها عاما في اللغة، فوضعها القرآن لمعنى أخص من الاول ، واستعملها (وكذلك الاستخلاف في الارض ، ووراثتها والتمكين فيها) في العظمة القومية والرآسة الملية ، والحكومة العامة والسلطة التامة على الارض ومن فيها من الامم والشعوب ؛ ويعدها اكبر منة وجزاء من الله سبحانه تناله الامم في هذه الحياة الدنيا على ايمانها وحسن عملها — أما المراد من هذه الخلافة فهو أن تقوم في الارض امة وحكومة تأخذ على عاتقها هداية النوع البشري وسعادته ، وتنشر لواء القسط الالهي ، وتمحق الظلم والجور والضلال والطغيان حتى لا تذر له اثرا على وجه البسيطة ، وتمد رواق الامن والسكينة والراحة والطمأنينة على العالم بأسره، وتقيم ناموس العدل الالهي الذي يسميه القرآن « بالصراط المستقيم » الذي هو نافذ من الارض الى السموات العلى ، ومن ذرات الرمل في الصحراء الى الشمس والقمر والنجوم وما هو تحت الثرى — فتقيم ذلك الناموس في مشارق الارض ومغاربها وتنفذه في جميع بقاعها ونواحيها حتى تصبح الكرة الارضية جنة ودار قرار، وتكون السعادة ضاربة فيها بأطنابها ، والامنية باسطة جناحيها من فوقها !

وإنما أطلق لفظ الخلافة على هذه الخلافة المصطلحة ، لان أول أمة وأول فرد لما قام في الارض باعباء الخلافة ، كان نائباً عن الله في اقامة عدله ، ثم الذين جاؤا بعد تلك الامة وذلك الفرد كانوا نائبين عنهم في هذا الامر ، حتى ظهر الاسلام وقامت الامة الاسلامية ، فانتقلت الخلافة الارضية الالهية اليها ، فكان اول خليفة من هذه السلسلة المباركة صاحب الشرع المتين ، ورسول رب العالمين، محمد صلى الله عليه وسلم — فكان خليفة الله العظيم مباشرة — ثم الذين استووا بعده على منصة الحكومة الاسلامية المركزية ، كانوا خلفاء هذا الخليفة الالهي والنائبين عنه في الدنيا ، فلذا سموا «الخلفاء» ولا يزالون يسمون به الى الآن —

وقد تقلبت خلافة الارض ووراثتها في أمم كثيرة ، قامت كل واحدة منها في نوبتها بخدمة دين الله الحق — وقد ذكرت هذه الخلافة في الآيات الآتية :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« وهو الذي جعلكم خلائف الارض « ٦ : ١٦٧ » ويستخلف ربي قوماً غيركم « ١١ : ٥٧ » ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ؟ « ١٠ : ١٤ » واذكروا إذ جعلكم خلفاء بعد قوم نوح « ٧ : ٦٨ » يادواود ! إنا جعلناك خليفة في الارض « ٣٨ : ٢٦ » —

وعبر عن هذه الخلافة «بوراثة الارض» فقال تعالى «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون» (٢١ : ١٠٥) وأيضاً «بالتمكن في الارض» وهو استفحال القوة وكمال العظمة الذي ناله فتى اسرائيلي في ارض الفراعنة بعد أن بيع فيها عبداً ، ثم وصل الى عرش الحكومة وتاج الملك بعمله الحق وسيره القويم « وكذلك مكنا ليوسف في الارض » ١٢ : ٥٦

وقد وعد الله به سبحانه المسلمين فقال «الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور» ٢٢ : ٤١

وثبت أيضا من هذه الآية ان الله تعالى انما يريد من التمكن في الارض أن تقام عبادته فيها ويعم الصلاح والصدق والهداية فيها ويصد الانسان العنود عن غيه وعمل المنكر —

وعبر في الآية الاخرى عن التمكين في الارض « بالخلافة» فقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (٢٤ : ٥٥)

نزلت هذه الآية العظيمة بعد هجرة رسول الله (صلعم) وأصحابه الى المدينة ، وكانوا فيها خائفين من الكفار ومحاطين بالاعداء من كل جهة ، يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح ، فضجر منهم رجل من هذه الحالة وقال « مايأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح » فبشرهم الله بهذه الآية أن لا يهنوا ولا يحزنوا ، فانه لا يضيع اجر ايمانهم وحسن صنيعهم ، فسينالونه باذنه ، ويأمنون أعداءهم ، فيذهب الخوف ويحل محله الامن ، ويصيرون ملوكا وسلاطين ، فيكون الامر أمرهم ، والكلمة كلمتهم ، واكبر من ذلك كله ان خلافة الله ستنتقل اليهم فيرثونها وتطمئن قلوبهم بها (ذكره الطبري بالمعنى في تفسيره عن ابي العالية (ج ١٨ ص ١٠٩)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تضمنت هذه الآية أن مراد القرآن الحكيم « بالخلافة » انما هو « خلافة الارض » أي الحكومة والسلطان فيها — فاذاً لا بد للخليفة الاسلامي من أن يكون صاحب الامر والنهي والحكومة التامة ، لانه ليس كبابا المسيحيين وبطاركتهم فأولئك سلطتهم روحية وهي خضوع القلوب وانحناء الرؤوس امامهم — بل هو حاكم وسلطان بالمعنى الحقيقي — الا أن سلطته يجب أن تكون تحت الشريعة الالهية ، وليس له حق التشريع البتة (١) ولا أعطته الشريعة سلطة دينية روحانية كما أعطت المسيحية للبابوات ، لانها تعد كل سلطة لغير الله ورسوله شركا به وكفراً تمقته أشد المقت وتمحقه من أول ظهوره(٢) قال الله سبحانه « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٩ : ٣٢) وقال « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٣ : ٧٩)

هذا — وقد وفى الله تعالى للمسلمين وعده بالخلافة ، كما وفى جميع وعوده وعهوده ، فلم يمض بضع سنين والرسول بين أظهرهم ، الا وأصبحت جزيرة العرب في قبضة يدهم ، وشوهدت جيوشهم خارجة من أسوار المدينة لمقاومة الروم اعداء دينهم ، وسبقت خلافة الارض اليهم بعد أن نزعت من غيرهم ، فكان اول خليفة منهم هو حامل الشريعة الغراء بنفسه صلى الله عليه وسلم — ثم الذين قاموا في مقامه من بعده كانوا خلفاءه — وقد أوضح النبي (صلعم) بتسميتهم « خلفاء » أنهم ينوبون عنه بعده ، فقال للمسلمين « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » (رواه ابن ماجه عن العرباض ابن سارية) ولذا سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما خلفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشارع في دين الاسلام هو الله تعالى ويطلق اللقب على النبي « ص » باعتبار التبليغ وقال بعض العلماء ان الله تعالى اذن له ان يشرع والجمهور على ان كل ما ثبت في السنة من الاحكام الشرعية فهو اما استنباط من القرآن واما وحي غيره فان الوحي لا ينحصر فيه . والتحقيق ان هذا التفصيل خاص بالاحكام الدينية كالعبادات واما الامور المدنية والسياسية والحربية فقد كان « ص » يحكم فيها ويسن برأيه واجتهاده ومشاورة أولي الامر من علماء المسلمين وزعمائهم بالكفاءة والرأي وجمهور الامة وقد اذن له تعالى بهذا ولأولي الامر بعده بالنص له كما حققناه بالتفصيل في تفسير (٤ : ٥٩ اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وهذا يسمى تشريعا في عرف علماء الحقوق وواضعي القوانين ، وبه يبطل قول الجاهلين بشرعنا انه شرع جامد لا ينطبق على كل زمان

(٢) الكاثوليك من النصارى يقولون بأن من حق البابا ان يكون حاكما سياسيا مدنيا أيضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الخلافة النبوية الخاصة ، والخلافة الملكية ﴾

انصبغت الخلافة الاسلامية بعد النبي عليه الصلاة والسلام بصبغتين مختلفتين ، وظهرت بمظهرين متباينين ، وكان عليه السلام قد أخبر عنهما ، ورفع الستار عن خصائصهما ، والاحاديث التي وردت في هذا الباب تكاد أن تكون متواترة لكثرة طرقها وشهرة متونها — فخلافة الخلفاء الراشدين المهديين كانت مصبوغة بصبغة الرسالة ، وسائرة على منهاج النبوة ، فكانت خلافة الرسول حقا ، والخلفاء الراشدون خلفاءه حقا — لا في منصة الحكم والسلطان فقط، بل في جميع اعماله وهديه — فكانوا مثله دعاة الدين، هداة الامم، قضاة الشرع، قادة الشعوب، ساسة البلاد ، قواد الجيوش ، أخوة الحروب، رايات الامن، قد اجتمعت في شخص كل واحد منهم صفات كثيرة مما كان مجتمعاً في شخص سلفهم وهاديهم (صلعم) فكانوا خلفاءه وحاملي شرعه ، بل حلقة من حلقات عهد الرسالة ، وبركة من بركات زمن النبوة، حكومتهم حكومة اسلامية محضة، ونموذج كامل للنظام الاسلامي، فكانت «حكومة جمهورية» قائمة على اساس الشورى بالمعنى الصحيح ـ غير أنها لم تدم كثيراً ، بل ماتت بموت علي عليه السلام ودفنت معه في ارض الكوفة

ثم ظهرت بعد هذه الخلافة الراشدة ، خلافة في حلة غير حلة اختها منحرفة عن منهاج النبوة ، منقطعة عن مسلك الرسالة، فكانت حكومة دنيوية وملكا عضوضا، وذلك عند ما فشت البدع العجمية ، وامتزجت بالمدنية الاسلامية العربية ، ولدت جراثيم الفساد في فضاء العالم الاسلامي ، فهذه الخلافة ـ وان كانت كل حلقة منها أشبه بالخلافة الراشدة من التي جاءت بعدها ، ـ لم تكن في مجموعها من محاسن الخلافة الراشدة في شيء . ولذا سميت الاولى على لسان النبي (صلعم) «بالخلافة» لغلبة الهداية والصلاح عليها . والثانية «بالملك العضوض» لظهور الاستبداد والقهر فيها ـ فقال صلعم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك» (١) وفي حديث ابي هريرة « الخلافة بالمدينة والملك بالشام» (٢) واخبر في حديث آخر بأن هنالك ثلاثة أدوار : عهد نبوة ورحمة ـ عهد خلافة ورحمة ـ عهد ملك وسلطان (٣) فانتهى الدور الاول بالنبي صلعم ـ

(١) رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بسند صحيح، وفي رواية «ثم تكون ملكا عضوضا» (٢) رواه البخاري في تاريخه والحاكم بسند صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والثاني بعلي عليه السلام كما مرّ - وقد كان هذا الدور بالحقيقة ذيلا للاول وجزءاً لازما له كما هو سنة الله في دعوة الاديان وتوثيق عرى الشرائع حيث يجعل الله لكل نبي خلفاء يقومون بعده بدعوته، ويوطدون دعائم شريعته - ثم جاء بعد هذا وذاك الدور الثالث، دور حكومة وملك عضوض، وهو باق على حاله الى الآن - ولم يكن الصحابة يجهلون هذا الدور ولا يستبعدونه بل كانوا يعرفونه وينتظرون مجيئه لاخبار النبي صلعم اياهم به -

وقد كان هذا الدور اكبر مصيبة ابتليت بها الامة، فبعد أن كانت ترتع في رياض النبوة، وتجني ثمار الخلافة الراشدة آمنة مطمئنة، اذ نعق ناعق الشر بينها، وقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بين يديها، فتقاص ظل هدي النبوة شيئا فشيئا، وذهبت بركاتها واحدة تلو واحدة، وأخرجت البدع رءوسها، وزحفت الفتن بخيلها ورجلها، فأحاطت بها من كل جوانبها، فكلما ابتعدت الامة عن عهد الرسالة حرمت نصيبا من بركاته وبركات الخلافة الراشدة - ولم يكن حرمانها محصورا في امر الامامة العظمى والخلافة الكبرى فقط، بل تعداها الى غيرها، فتغلغلت جراثيم الفساد في هيكلها الاجتماعي فزعزت نظامها وقوامها، ثم سرت الى حياتها الشخصية فأفسدت عقائدها وعواطفها، ونفثت في أعمالها سمومها، ففيرت من صغيرها وكبيرها - ولم تكن فتنة واحدة أو فتنا قليلة محصورة فيسهل اتقاؤها، بل سالت سيول من الفتن دهمت المسلمين بغتة فاجت عليهم أمواجها، وثقلت عليهم وطئتها. فكانت كما قال أعلم الصحابة بالفتن حذيفة رضي الله عنه «تموج كموج البحر» وبين لهم انه ليس بينها وبينهم سد الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه متى سقط هذا السد المنيع طفت تلك السيول الجارفة وبغت فلم يقدر احد على صدها، فما زالت حتى أخذت الخلافة النبوية في تيارها وحطمتها وتركتها اثرا بعد عين -

نعم وقع ما وقع، الا ان الامة المسلمة قد بشرت على لسان نبيها بأنها سترى في آخر أيامها دور نجاح وفلاح، فتقر به عينها وينشرح صدرها وتصلح أمورها حتى «لا يدرى أولها خير أم آخرها» (١) ويتم فيه نور الله

(١) اشارة الى حيث «امتي امة مباركة لايدري اولها خير اوآخرها» رواه ابن عساكر عن عمر بن عثمان مرسلا وسنده حسن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«والله متم نوره» الخ «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»(١) ولذا لا يزال قلب المؤمن قويا برجاء الله ، مملوءاً باليقين، لم يخالطه ريب ، ولا دخله زيغ ،ولا صادفه قنوط ويأس — حتى في هـذا الزمان الذي انصبت فيه على المسلمين المصائب ونزلت بهم النوازل وزلزلوا فيـه زلزالا شديدا — بل كلما ازدادت العواصف شدة ، والليل ظلمة ، والارض عداوة ،يزداد المؤمن رجاء ويقينا ، ويبصر بعينيه نور الصبح الجميل من بين هاتيك الظلمات والغيوم والعواصف — ولسان حاله يقول« إن موعدهم الصبح ،اليس الصبح بقريب؟ »

﴿ فصل ﴾

﴿ عهد الاجتماع والائتلاف * ودور التشتت والانتشار ﴾

قبل ان نخوض غمار هذا البحث نتكلم في هذا الفصل على كلمتين مصطلحتين زيادة في الايضاح وتفصيلا للبيان — فنقول :

« الاجتماع والائتلاف » كلمتان خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، فيهما سر حياة الامم ومماتها. نهوضها وهبوطها .سعادتها وشقوتها ـ «فالاجتماع» من الجمع وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض (مفردات ص ٩٥) ويقرب منه « الائتـلاف » من الالف اجـتماع مع التئام « والمؤلف ما جمع من اجزاء مختلفـة ورتب ترتيباً فقدم فيه ما حقه ان يقدم واخر فيه ما حقه ان يؤخر» (مفردات ص ١٩) اما « عهد الاجتماع والائتلاف » فهو ذلك العهد الذي تجتمع فيه القوى الاجتماعية الفعالة في مكان واحد ، في نقطة واحدة ، في سلسلة واحدة، في ذات واحدة ،وفي يد واحدة ،بترتيب طبيعي لائق بها . فتصبح كل المواد والقوى والاعمال الاجتماعية وافراد الامة متماسكة متشابكة . حتى لا ترى فيها خللا ولا خرقا ولا فتقا . بل تجدها كلها كحلقات السلسلة التي التحم بعضها مع بعض فأضحت شيئاً واحداً ـ

فدور الاجتماع والائتلاف اذا جاء على المادة ظهر فيها الخلق واستمدت للحياة . وعبر القرآن عن هذا « بالتخليق والخلق والتسوية » فقال « الذي خلق فـ وى» (٨٧ : ٢) فالوجود والحياة ليس الا اجتماع اجزاء المادة مؤتلفة .

(١) كان شيخنا الاستاذ الامام يقول ان هذا الوعد لما يتم ولا بد من تمامه بظهور الاسلام على سائر الاديان في أوربة وأمريكة والشرق الاقصى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك الموت والفناء ليس الا تفرقها وتشتتها ـ واذا جاء على الاعمال سماه علماء الاخلاق « بالخير » وسمته الشريعة « بالعمل الصالح والحسنات » واذا جاء على الجسم سماه علم الطب « بالصحة » وقال الطبيب « هذه حياة » ثم اذا جاء على القوى والاعمال الاجتماعية القومية سمي « بالحياة الملية الاجتماعية » وكان موجباً لنبوغ الامة ونفوذها وسلطانها ـ فالعبارات مختلفة كثيرة . والحقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتبدل . ولا غرو فان الله الحكيم واحد منفرد . وحكمته واحدة . وناموسه واحد ـ ولنعم ما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير

وضد الاجتماع والائتلاف « التشتت والانتشار » فالتشتت من « الشتات » ومعناه في اللغة التفرق يقال شت جمعهم شتاً وشتاتاً . وجاؤا أشتاتاً اي متفرقي النظام (مفردات ص ٢٥٦) وفي القرآن « يومئذ يصدر الناس اشتاتاً (٩٩ : ٦) من نبات شتى (٢٠ : ٥٣) وقلوبهم شتى » (٥٩ : ١٤) اي مختلفة ـ « والانتشار » من النشر وهو ايضاً التفرق والبسط كما في القرآن « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » اي تفرقوا ـ

واما دور « التشتت والانتشار » فهو ان تتفرق المواد والقوى والاعمال والافراد . فيصير كل شيء على ضد ما كان عليه في عهد الاجتماع ـ فاذا عرضت هذه الحالة للمادة قيل « فساد وانحلال » وللجسم قيل « مرض وداء ثم موت » وللاعمال قيل في تعبير القرآن « عمل السوء والعصيان والفسق والاجرام » وللامم قيل « الموت الملي . والموت الاجتماعي » فتصبح الامة في هذا الدور في هبوط بعد الصعود وذلة بعد العزة ، وضعف بعد القوة ، وعبودية بعد الحرية والسيادة ، ثم تسير الى الموت والهلاك بعد ان كانت صحيحة قوية حية ، فيا له من بلاء ليس فوقه بلاء والعياذ بالله !

ولذلك تجد القرآن ينبه مرة بعد مرة على أن « الاجتماع والائتلاف » الاساس الاكبر لحياة الامم ، ويعده اكبر نعمة من الله سبحانه على البشر ، ويعبر عنه بالعبارات العظيمة الشأن « كالاعتصام بحبل الله » وغيره ، ويقول للامة « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ثم يخبر بعد هذا بان لا حياة مع التشتت والانتشار ، فانه نار موقدة تحرق كل شيء يقربها ولا سيما شجرة الحياة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجتماعية ، فانها اذا مستها لا تبقي عليها ولا تذر ـ فقال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٣ : ١٠٣) ثم يخبر بأن الحياة الاجتماعية في الامم ليست من تدبير البشر(١) ، فمهما بلغ الانسان من القوة والعظمة والعقل ، لا يقدر على أن يكون أمة ، بل هو الله الواحد القادر يجمع الاشتات فيؤلف بينها ويسلكها في نظام واحد فقال « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ، ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٨ : ٦٤)

وأخبر القرآن أيضاً بأن أول ثمرة تثمرها الشريعة الالهية وأعظم بركه تجود بها على النوع الانساني في الدنيا هي « الاجتماع والائتلاف » وكرر مرة بعد أخرى ان التفرق والتشتت والانتشار لا يجتمع مع الدين أبداً . وأنه عاقبة الاعراض عن الله وعصيانه والبغي عليه . فقال « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم (٢ : ٢١٢) وما اختلفوا حتى جاءهم العلم » (١٠ : ٩٣) وآتيناهم بينات من الامر . فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (٤٥ : ١٦)

ولذلك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والحياة الاسلامية في الجماعة وعد الخروج عنها من الجاهلية . والحياة الجاهلية . فقال « من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية » (كما ستراه مفصلا ان شاء الله) وأمر المسلمين أمراً مؤكداً بالتزام الجماعة في كل حال . وبطاعة الامير سواء كان برا أو فاجرا . اهلا للامارة أو غير اهل . عادلا في حكمه أو ظالما . كيفما كانت سيرته ومهما فسدت طريقته يجب عليهم طاعته . ولا يجوز لهم الخروج عليه . الا أن يمرق من الدين جهارا أو يترك الصلاة فحينئذ لا طاعة له عليهم(٢) وأخبر أن كل من تنكب عن الجماعة

(١) ليس المراد أنه لا ينبغي لزعماء الشعوب والاقوام المتفرقة ان يسعوا الى تكوينها وجعلها امة عزيزة لعجز البشر عن ذلك بل المراد ان هذا التكوين للامم قد جعل بسنة الله تعالى في الاجتماع اثرا وغاية لاعمال اطوار كثيرة بعضها من كسب الافراد وبعضها ليس من كسبهم فلا تقع بتدبيرهم ولكن عليهم ان يعملوا ما في طاقتهم من وسائلها ويكلو الى عناية الله تعالى إنجاح سعيهم واتمام عملهم

(٢) انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما صح في الحديث وأجمع عليه المسلمون . وصرح الخلفاء الراشدون على منبر الرسول (ص) =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شبرا فقد كب على وجهه في النار . وجعل زمامه بيد الشيطان، وقضى على نفسه بالخسران والهلاك — . وذلك لان الجماعة كالسلسلة الفولاذية التي يعيي الاشداء كسرها . وآحاد الامة كالحلقات التي سلامة كل واحدة منها في سلسلتها. فانها ان انفصلت عنها صارت حلقة واحدة تكسر أو تلقى في الزبالة —

ولقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يروي في خطبه « عليكم بالجماعة . فان الشيطان مع الفذ . وهو من الاثنين أبعد » وفي رواية « فان الشيطان مع الواحد » وقد ذكره في خطبته الشهيرة بالجابية التي رواها عبد العزيز بن دينار وعامر بن سعد وسليمان بن يسار وغيرهم — ونقل البيهقي أن الشافعي رضي الله عنه كان يستدل بهذا على صحة الاجماع — وورد في الحديث المتواتر بالمعنى « عليكم بالسواد الاعظم » وحديث « فانه من شذ . شذ في النار » وحديث « يد الله على الجماعة » وحديث لا يجمع الله امتي على الضلالة » وكما قال علي عليه السلام في خطبة له « اياكم والفرقة . فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب . الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ، ولو كان تحت عمامتي هذه (١) ! » وغير هذا كثير من الاحاديث والآثار في هذا الباب —

فجملة القول ان المسلمين أمروا أمراً مؤكدا بأن يكونوا مع الجماعة أبدا ، لان من انقطع عنها انقطع في النار — ولان الافراد والآحاد المتفرقة لاحياة لهم بل انما هم للموت والفناء والهلاك ، وأما الامة الصالحة فحياتها باقية على وجه الدهر ، ولن تهلك أبدا — ولان يد الله مع الجماعة ، وهو لا يرضى أن تجتمع الامة بأسرها على الضلالة —

ولتعويد المسلمين على الحياة الاجتماعية (٢) أمرتهم الشريعة بالتزام صلاة

بمطالبة المسلمين بتقويم زيغهم وعوجهم ، وانما يمتنع عند علماء أهل السنة الخروج على الامام الجائر اذا كان يخشى من الخروج عليه فتنة تفرق الامة وشق عصاها لضعف القائمين بذلك من الامة . واذا كان المؤلف قد وعد بتفصيل القول في المسألة فاننا منتظرون ما يجيء به فاما ان نقره واما ان نذيله بحاشية نبين فيها ما نرى انه الحق كما بيناه في المنار مرارا

(١) روي هذا في الروايات الاخرى مرفوعا — اه من حواشي الاصل

(٢) تقديم التعليل يفيد الحصر ولاحصر ففي صلاة الجماعة فوائد اخرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجماعة في كل حال ، حتى أنها لاتترك لفقدان الامام الاهل للجماعة ، بل يدوام عليها مع السعي في نصب الاهل لقوله صلعم « صلوا خلف كل بر وفاجر » (١)

ولذلك نرى سورة الفاتحة التي هي دعاء اجتماعي للمؤمنين عامة يدعو بها كل واحد منهم على حدته استعملت فيها صيغ الجمع لا الواحد — فقال « اهدنا الصراط المستقيم » ولم يقل « اهدني » وذلك لان القرآن كما قلنا من قبل لا يرى للفرد حياة قائمة بالذات ، بل الحياة عنده للجماعة فقط — وما الافراد وأعمالهم في نظره الا لان تتكون منهم ومنها الهيئة الاجتماعية ، فلهذا عبر بصيغ الجمع في هذا الدعاء الذي هو حاصل الايمان ، وزبدة القرآن ، ومخ الاسلام — وكذلك جعل الدعاء الذي يدعو به كل مسلم لاخيه لما يلقاه « السلام عليكم » بالجمع لا « السلام عليك » وكذلك السلام حين الخروج من الصلاة — والعلة فيه أيضا ماذكرناه لا ما فهمه كثير من الناس —

وانك اذا أمعنت النظر ترى جميع أحكام الشريعة وأعمالها مبنية على هذا الاساس — أساس الاجتماع والائتلاف — وقد علمت ما في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، ومثلها الحج ، فليس هو الا عبارة عن اجتماع المسلمين (على أحاديث شعائر الله) وكذلك الزكاة التي ماجعلت الا لقيام الهيئة الاجتماعية ، فيؤخذ من رءوس أموال الافراد شيء معين ليصرف على الجماعة ، وطريقة أدائها أيضا اجتماعية فليس لكل أحد أن يصرف زكاته بمشيئته وارادته ، بل عليه ان يؤديها الى الامام الذي له وحده أن ينفقها في الامور العامة ويعين لها مصرفا من المصارف المنصوصة في الكتاب — لا كما يفعله الناس في الهند فينفق كل واحد زكاته بنفسه — نعم ليس في هذه البلاد التعسة امام ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعمل لها نظاما مخصوصا كما عملنا للجمعة والعيدين —

ولعمر الله إن هذه الحقيقة واضحة لا غبار عليها تنجلي كالشمس لمن دقق النظر في الاحاديث النبوية التي تنص على أن المسلمين يجب أن يعيشوا عيشة واحدة ويحسبوا أنفسهم أبناء امة واحدة — فانظر مثلا حديث مسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وحديث الصحيحين « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ثم شبك بين أصابعه فأوضح (صلعم) ان المسلمين ليسوا آحادا

(١) رواه البيهقي في سننه بسند ضعيف وله تتمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو حجارة متفرقة بل هم جدار بل حصن مشيد يشد بعضه بعضا ـ ولا يذهبن عن بالك أن الامر بتسوية الصفوف في الصلاة ، انما هو لنفس هذه الحكمة ـ قال صلعم « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » (البخاري) وفي رواية السنن « سووا صفوفكم ، فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة » (البخاري) ومثله كثير من الآيات والاحاديث في هذا الباب، يحتاج في شرحها وبيان حقائقها الى مجلد ضخم ، وقد وفينا البحث حقه في تفسيرنا « البيان في مقاصد القرآن » فليراجعه من يشاء ـ

من الخرافات الى الحقيقة

—٢—

﴿ الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها ﴾

كان الواجب أن نبدأ بالفصل الاول والثاني حسب ترتيب الكتاب الذي هو مأخذنا . ولكن بعض الاسباب دعتنا الى تأخير ذينك الفصلين وتقديم هذا الفصل :

ان الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها كانت بيد رجل اسمه (عبدالله ابن سبأ) كان هذا الرجل يهودياً ثم أسلم ظاهراً ، وأعماله تدل على أنه كان يحمل حقدا شديدا للمسلمين . وكان يرمي الى غرض واحد هو تمزيق شمل (الوحدة) الاسلامية، وسلاحه القاطع نشر الخرافات الملائمة لطبائع المسلمين من غير العرب

ذهب هذا الرجل الى البصرة اذ كان عبدالله بن عامر عاملا (واليا) عليها وسمى نفسه باسم مستعار (ابن السوداء) وأخذ ينشر هناك آراء تلائم أهواء الذين دخلوا في الاسلام حديثاً . وعند ما بلغ خبره العامل (الوالي) استقدمه اليه وسأله عن شخصه وسبب مجيئه الى البصرة فقال «أنا رجل من أهل الكتاب أحببت السكنى في دار الاسلام تحت رعايتك» واذ لم يقنع الوالي هذا الجواب طرده من البصرة . فتزيا بزي مسلم مهتد وطفق يزرع بذور الفساد بين المسلمين الذين دخلوا في الاسلام حديثاً ولم ينسلخوا من تقاليدهم القديمة . ذهب أولا الى الكوفة ثم الى مصر والف جمعيات سرية لاجل القيام على الخليفة بقصد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ايقاع الشقاق والتفريق بين المسلمين .

لقيت البذور التي زرعها هذا اليهودي المتزيي بزي المسلمين تربية خصبة، وكانت ادارة عثمان بن عفان كساعد لنموها . فتمكن الرجل من تفريق المسلمين في أمر الخليفة وشق عصاهم فاذا هم فريقان يختصمون

ولم يكتف بذلك، بل تمسك بحبل الاستفادة من شعور الحب والاحترام في القلوب لاهل البيت النبوي الشريف، واستفاد من استخدام هذا الشعور العالي لمقاصده ، واتخذ الفجيعة بعلي المرتضى وولديه سبطي الرسول (عليهم السلام) ذريعة لدس الدسائس وتقسيم المسلمين الى شيع ، لانه كان يعلم أن العقائد الراسخة والتقاليد الموروثة والعادات لا تتبدل في الناس بسرعة بمجرد دخولهم في دين جديد مهما يكن واضحاً جلياً ومنطقياً معقولا ، كما كان يعلم أن الدين اذا دخل محيطاً غير محيطه الاصلي لابد أن يضم اليه أشياء كثيرة ويكتسب لوناً يوافق نظر أهل تلك البلاد . لذلك عزم على أن يستفيد من هذا الحال ليضرب الدين ضربة قاضية . فأخذ ينشر قواعد الدين الحنيف صابغاً اياها بصباغ عادات البلاد الموروثة . والناس كانت تستقبل ذلك بشوق وسرور

انتشر الاسلام في فارس ومصر وسورية واستولى عليها . وكان لاهالي هذه البلاد عقائد وعادات قديمة راسخة في القلوب . ومع قبول هؤلاء الناس للدين الاسلامي كانت عاداتهم لاتزال ذات السلطان الغالب عليهم . فسذاجة الدين الاسلامي وبساطته لم تكن كافية لتسكين نيران شوق السكان الاصليين لحب الفخفخة والمنجهية التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم، ولذلك كانوا يتلقون أقاويل عبد الله بن سبأ كماء زلال تسرب الى قلوبهم المملوءة حرارة وشوقا الى المظاهر الفارغة . وكانوا يحرصون على إلباس الدين الحنيف كساء جديداً منسوجاً من خيوط عاداتهم واساطيرهم . وهذا الشوق من جملة اسباب دخول خرافات ايران ومصر القديمة والهند في الدين الحنيف

اول من تصدى لهدم دين مجوس الفرس وملكهم الكسروي أبو بكر الصديق الاعظم وتلاه الفاروق الاعظم فقضى على ذلك الاستقلال وجعل تلك الامة تابعة للعرب الذين كانت تحتقرهم، وتبع ذلك انتشار الاسلام فيهم . فساء هذا وذاك الذين ظلوا مستمسكين بدينهم ، ولا سيما أصحاب السلطتين الدينية والدنيوية منهم ، فكان منهم بالطبع من يندب استقلالهم . ويتربص الفرص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لرفع السلطة العربية عنهم ، وكانوا يمقتون الفاروق مقتا شديدا لانه هو الذي فتح بلادهم وذهب بعزهم ومجدهم. في ذلك الوقت استفاد عبد الله بن سبأ من مجرى الاحوال كما استفاد في زمان ذي النورين وظهر بمظهر المدافع عن حقوق آل البيت ، فخدع بعض العرب ومهد الطريق أمام سياسي المجوس لاخذ الثأر والانتقام من العرب واعادة الاستقلال السياسي لبلادهم بحجة الانتصار لآل البيت .

وأما مقصد عبد الله بن سبأ فلم يكن الا تفريق المسلمين بجعلهم شيعتين متعاديتين تقاتل كل منها الاخرى ، مستفيدا من شعور المسلمين معتمدا على أهواء الفرس، فاستفاد من احساس العرب ومن دهاء العجم .

بث أولا دعوة حصر الخلافة والامامة في علي وأولاده رضوان الله عليهم . ثم ادعى ألوهية علي حتى قال له (أنت الله) عندئذ نفاه كرم الله وجهه الى المدائن ولكنه ظل مثابرا على نشر دعوته

قلنا ان الذي بدأ بالمسألة الايرانية ابو بكر الصديق والذي ضرب الضربة القاضية عمر الفاروق . وفي زمان ذي النورين عام ٣١ هجرية قتل آخر ملوك ايران (يزدجرد) فكان هذا من دواعي تشيع عبد الله بن سبأ لعلي رضي الله عنه لاجل أن يشق عصا المسلمين ويفرق شمل العرب فيجعلهم فريقين مختصمين، ويوقع الشبهات في العقيدة الاسلامية الجامعة للكلمة ، ويجرئ المجوس من الفرس على أخذ ثارهم ومحاولة استعادة ملكهم

وبعد أن توفى الله أبا الحسنين طفق يقول « لم يمت علي وان الذي قتله ابن ملجم شيطان تمثل بصورة علي لان صهر النبي صعد الى السماء ! والرعد صوته والبرق لمعان سيفه ، وسينزل يوما الى الارض ويملأها عدلا »

وقد صدق كثير من العوام الجاهلين أقوال هذا اليهودي الماكر، لان دأبهم تصديق كل قائل واتباع كل ناعق، ولا سيما اذا كانت هذه الاقوال قريبة من تقاليدهم كما هو شأن اولئك الذين دخلوا الاسلام حديثا من النصارى واليهود والمجوس، فالقول بالوهية علي وربوبيته كالقول بربوبية عيسى والوهيته ،والقول بنزول علي الى الارض لاجل اصلاحها يوافق اعتقاد النصارى (الذين ينتظرون نزول عيسى من الملكوت الى الارض ولا يبعد عن اعتقاد اليهود ظهور مسيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آخر، وقد تلقاه الايرانيون بأحسن قبول لانه يشابه اعتقادهم أن (هرمز) بموجب دين (زردشت) صعد الى السماء وسينزل يوما ما الى الارض. وبهذا الشكل جعل اليهود والنصارى والمجوس راضين مطمئنين ! لانه أتاهم بشيء أنست به ارواحهم ، ولطم الحنيفية لطمة لطخ بها جسمها الناصع البياض لطخة مباينة للونه الجميل فكانت هذه اول خرافة سرت الى اهل هذا الدين الحنيف

العوام غريبو الطبع يتبعون كل ناعق ويركضون خلف كل صوت بسهولة. لذلك تمكن هذا اليهودي (عبد الله بن سبأ) من تكوين حزب ديني وشيعة سميت (السبائية) . واذ كان افراد هذه الفرقة التي زالت ولم تزل خرافاتها يعتقدون أن الرعد صوت علي عليه السلام صار من شعائرهم أن يقولوا كلما تألق البرق بالتقاء الكهربائية الايجابية بالسلبية (السلام عليك يا امير المؤمنين)

الاسباب التي مهدت لظهور هذه الفرقة ثلاثة

(السبب الاول) سيرة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في ارخاء العنان لمروان وكثرة استعماله لاقاربه ومحاباته لهم خلافا لما جرى عليه الخليفتان قبله، فبذلك كثر الناقمون الطالبون لتغيير الحال وقد قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) فلو اتبعت هذه الآية الكريمة لما وجد عبد الله بن سبأ محلا خصبا لبذر بذوره.

(السبب الثاني) افتتح المسلمون بسيف الحق ومكارم الاخلاق بلاد الفرس والروم (مستعمرات الرومان) وكانت هاتان الدولتان في ذلك الوقت على غاية من الانحطاط وفساد الاخلاق وكان ابو بكر الصديق والفاروق رضي الله عنهما يبذلان الجهد لحفظ كرامة الاسلام ورفعته ونقائه ويحذران عليه من سريان امراض تينك الامتين الروحية والاجتماعية الى العرب ، وناهيك بعناية الفاروق وحرصه على معالي الاخلاق والفضيلة والشرف فتانته في الدين وصلابته في الحق وعدالته التامة بين الخلق كانت تجذب الى الاسلام فضلاء الامتين (الفرس والروم) كما يجذب المغناطيس الحديد .ومن سوء حظ الامم المنحطة أن يكون ابناؤها المتحلون بالفضائل خصوما لها كما وقع في هاتين الامتين وغيرهما من الامم(١)

(١) المنار : هذه الكلمة منبعثة عن التعصب الجنسي من المؤلف وهي ليست حقا باطراد فما جرى عليه اهل الفضائل من تفضيل الصلاح والاصلاح الاسلامي وان جاءهم من غير أبناء جنسهم على فساد أقوامهم كان من حسن حظ أقوامهم لانهم =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأول ما كان الفاروق يعتني به هو منع الامتزاج بين العنصرين الغالب والمغلوب كما يفعل الانكليز اليوم (٢)

ولكن عندما صار الامر الى عثمان النورين وحصل الشقاق بين بني هاشم وبين الامويين تمكنت عادات الفرس والروم « ايران وبيزانس » من التسرب الى المسلمين. وهذا مما جعل بذور عبدالله بن سبأ تنبت ثم تثبت في هذه القلوب، فبرجوع مروان الى المدينة وهو المطرود منها بأمر نبوي وجعله على رأس رجال الحل والعقد وتعيين اكثر الامويين ولاة واشتداد الخصام بين الامويين وبني هاشم أهملت أحكام الشرع الانور. وكانت شكايات الناس وتظلماتهم تصل الى عثمان رضي الله عنه بصورة مقلوبة لا يعرف بها حقيقتها، الى أن اشتد البأس ونفد الصبر فسفك الدم، أفكان صيبا نافعا يسقي بذور أعداء الاسلام.

= استفادوا من العرب مدى وصلاحا ولم يخسروا شيئا لان الاسلام لم يفضل العرب عليهم بشيء الا بحصر الخلافة في قريش. وقد تمنى بعض كتاب فرنسة الاحرار لو بقي العرب في بلادهم عند مافتحوا بعضها وقال ان اخراجهم منها قد كان لسوء حظهم فلولاه لسبقوا سائر اوربة الى المدنية ببضعة قرون. وانما تصح هذه الكلمة في حالة استيلاء شعب على شعب آخر ليسخره في منافعه ويستغل بلاده بأيدي أهلها كما فعل الرومان بالامس ويفعل أخلافهم من الافرنج اليوم، ولكن اهل الفضائل في هذه الحالة لا يفضلون الاجنبي على قومهم وان كان يفوقهم في كثير من المزايا وانما يفضله طلاب المنافع بخدمته وهم من اهل الرذائل وان رفعتهم المناصب التي يخونون امتهم بقبولها من الاجنبي ثمناً لأوطانهم

(٢) من أصح الشواهد على هذا ما رواه مسلم في صحيحه مختصراً: كتب عمر (رض) الى قائد جيشه في بلاد العجم عتبة بن فرقد: ياعتبة! انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك فأشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. واياكم والتنعم وزي اهل الشرك. ولبوس الحرير الخ وفي مسند ابي عوانة بسند صحيح أنه كتب اليه: « أما بعد فاعتزوا وارتدوا وألفوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل، واياكم والتنعم وزي الاعاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب. وتمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وابرزوا وارموا الاغراض » قال النووي في شرح صحيح مسلم: ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلابتهم في ذلك ومحافظتهم على طريقة العرب في ذلك اه والتمعدد التشبه بمعد بن عدنان في ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(السبب الثالث) توسيد الامور السياسية التامة الى غير العرب من المسلمين فلو حصرت الحقوق السياسية — أي حق التدخل بأمر الادارة وتنفيذها — بالعرب لما حصل ما حصل، فان بعض الذين أسلموا لم يكن اسلامهم حقيقيا بل اتخذوا الاسلام سلاحا لجرح الاسلام، ثم كانوا أمهر من العرب بالدسائس السياسية فاستفادوا من صفاء قلوب العرب وكدروها كما شاؤوا بكل سهولة،

ألم تر الى الدول التي تغلب الشعوب على أمرها في هذا العصر لا تعطي مثل هذا الحق للمغلوبين البته، أيتصور اليوم أن يدخل مجلس النواب الانكليزي أعضاء من فلسطين أو الهند ويكون لهم رأي في أمور الادارة والسياسة؟ ان رجال دول الاستعمار في هذا العصر يبعدون المغلوبين عن الوظائف العالية ادارية كانت أو سياسية أو عسكرية — لانهم درسوا التاريخ وعرفوا علة انحطاط من سبقهم من الامم. فاعتبروا بخطيئات المتقدمين (١)

---

(١) المنار: يظهر ان مؤلف الكتاب وهو من اخواننا الترك الذين ينظرون في تاريخ الاسلام بالعين التي ينظرون بها الى دول أوربة وشعوبها ولا يقدرون ما بينهما من الفارق حق قدره. ان أهل أوربة يقصدون من التغلب على الشعوب استخدامها لتوفير لذاتهم والاستعلاء عليها لمجرد التمتع بالعظمة والسلطان والكبرياء والعلو في الارض. وأما الاسلام فانه يحرم هذا كله ولم يقصد اهله العارفون به من فتح البلاد الا هداية اهلها الى الحق والعدل والفضيلة وانقاذهم من الشرك والخرافات والرذائل لا لجعلهم عبيداً للمسلمين بل ليكونوا مثلهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، ولو جرى العرب على الخطة التي يجري عليها الاوربيون اليوم خلافا لتعاليم الاسلام لما أمكن أن يستولوا في قرن واحد على سلطنة اعظم من السلطنة الرومانية التي اسسوها في بضعة قرون والاغلبوا اعظم دول الارض — الفرس والروم — في بضع سنين وقد كانت الدولة الاموية ذات عصبية عربية فلم تقدر أن تثبت قرنا واحدا. نعم ان سياسة الفاروق كانت هي السياسة المثلى في محافظة العرب الفاتحين على آدابهم وعاداتهم التي كانت على وفق هداية الاسلام لئلا تفسدها التقاليد الأعجمية الفاسدة وكان ينبغي ان تكون بيدهم مقاليد الامور وألا يشركوا فيها الامن يوثق بصلاح حاله وعدم الخوف من سوء مآله، ولم يعمل الامويون ولا العباسيون بهذه القاعدة الراشدة فضاع الامر بين التفريط والافراط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبر التاريخية في أطوار المسألة المصرية

ذهب وفد وزارة عدلي باشا الرسمي الى لندره لاجل الاتفاق مع حكومتها على رفع الحماية البريطانية عن مصر واستبدال علاقة أخرى بين البلدين بعد أن صدع هذا الوفد بناء الوحدة المصرية وفرق كلمتها فمن جراء هذا كان نصيبه الفشل واغتر الانكليز بتفريق الكلمة بقوة الوزارة المصرية فوضع اللورد كرزون لمصر نظاما جديدا حذف به كلمة الحماية وأبقى معناها بل ما هو أشد منه في استعباد البلاد واستذلالها الابدي فلم يسع عدلي باشا ووفده قبول هذا النظام باسم مصر بل عاد اليها وبعد عودته بأيام نشرت الحكومة الوثائق الثلاث الآتية في المسألة المصرية وهاهي ذي بنصها:

بلاغ رسمي

رفع حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد الرسمي المصري الى حضرة صاحب العظمة السلطانية بطريق البريد مشروع المعاهدة الذي وضعته الحكومة البريطانية وجواب الوفد الرسمي المصري عليه وهذه ترجمة هاتين الوثيقتين

ترجمة مذكرة

بخصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولا — انتهاء الحماية

(١) في مقابل ابرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة SOVEREiNG STATE تحت امرة ملوكية دستورية فبمقتضى هذا قد ابرمت وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبها من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصري من الجهة الاخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيا — العلاقات الاجنبية

(٢) تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت ادارة وزير معين لذلك

(٣) يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قوميسير عال يكون له في جميع الاوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائي ويكون له حق التقدم على ممثلي الدول الاخرى

(٤) يمثل الحكومة المصرية في لوندره وفي أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعي هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير

(٥) بالنظر للتعهدات التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول الاجنبية يجب أن توجد اوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالي البريطاني الذي يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسيه

(٦) لا تدخل الحكومة المصريه في أي اتفاق سياسي مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالي البريطاني

(٧) تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصليين في الخارج حسب مقتضياتها

(٨) لاجل تولي الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التي لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضم ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لهم كل مساعدة في قدرتهم

(٩) تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولي المفاوضة لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المشروعة للاجانب في مصر وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً

ثالثا — النصوص العسكرية

(١٠) تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحيوية وعن سلامة أراضيها

لاجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الامبراطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولا يد مدة يحددان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً في كل وقت ما لها الآن من التسهيلات لاجرائه واستعمال الثكنات وميادين التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية

رابعا — استخدام الموظفين الاجانب

(١١) بالنظر للمسئوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للحالة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بأن لا تعين ضباطاً أو موظفين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسير المالي البريطاني

خامسا — الادارة الماليه

(١٢) تعين الحكومة المصرية بعد استشارة *In consultation With* حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالي مسؤولا بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها وهي :

(١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة

(٢) جميع المعاشات والسنويات الاخرى المستحقة للموظفين الاجانب المحالين على المعاش وورثتهم

(٣) ميزانيتي القوميسيرين المالي والقضائي والموظفين التابعين لهما .

(١٣) لاجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية

(١٤) ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص ايرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير المالي

سادسا — الادارة القضائية

(١٥) تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التى تحملتها بريطانيا العظمى القيام مراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التى تمس الاجانب

(١٦) لاجل أن يؤدى القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التى تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول علي وزيرى الحقانية والداخلية

سابعا — السودان

(١٧) حيث أن رقي السودان السلمى هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربيه التى كانت تقوم بها في الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية في السودان تحت أمر الحاكم العام

وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على النيل أو روافد جنوبي وادي حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء يمثل أحدهم مصر والثانى السودان والثالث أوغندا

ثامنا — قروض الجزية

(١٨) المبالغ التي تعهد خديوي مصر في أوقات مختلفه بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركيه المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ الى ان يتم استهلاك هذين القرضين

تستمر الحكومة المصرية أيضا في دفع المبالغ التي كان جاريا دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسؤولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشىء عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاسعا — اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

(١٩) للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمه الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء الموظفون تعويضاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشرط في الاستعفاء من الخدمه في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسري جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضا على موظفي البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الاخرى

(٢٠) الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التعويض اعانة اياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومتاعه المنزلي الى لوندره .

(٢١) تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيهات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ ½ قرشاً للجنيه الانجليزي

(٢٢) يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين Societiofuract aries

عاشرا حماية الاقليات

(٢٣) تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية . والا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي والا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي .

(٢٤) تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لارواحهم وحريتهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم

يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بحرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لا تنافي النظام العام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو الآداب العمومية

(٢٥) جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الاديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأية لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو الاجتماعات العمومية

(٢٦) الاشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للاقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق الآخرين في أن ينشؤا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها اهـ

ترجمة رد الوفد المصري الرسمي

(على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر)

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١

ولقد رأى أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق باكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ اربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم نقبلها حينئذ

فعن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة ولم يقتصر على ذلك . بل توسع في مرماه بما جعله أشد وطأة على أن حماية المواصلات الامبراطورية . (وهي التي قيل في مفاوضات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري) لاتبرر هذا الحل

ففي حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تخويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية وضع أيضا تحت تصرفها كل ما لدى القطر من وسائل المواصلات وطرقها. وهذا انما هو الاحتلال بذاته — الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على أن الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقوية لأية سلطة

أما مسألة العلاقات الخارجية — وهي المسألة الوحيدة التي عدلت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعتها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدإ التمثيل — فان المشروع قد أحاط الحق الذى اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي . اذ لا يتصور ان تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام باعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزما بنص صريح بأن يبقي على اتصال وثيق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع الاتفاقات السياسية (حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف) فيه اخلال خطير بمبدإ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي (وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة) لهو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دعانا الى الاعتقاد بانه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضة بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبة الشأن الاول مع معاونتها في ذلك سياسياً من جانب حليفتها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشر وحدها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند الاقتضاء المفاوضات بشأن الغاء الامتيازات

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسرين) المالي والقضائي وبتداخلهما في ادارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الاجنبية تداخلا قد يصل في بعض الاحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالي الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فاننا لا نريد هنا أن نكرر ماسبق لنا إبداؤه من الاعتراضات في مذكراتنا على انه يتحتم علينا القول بان المناقشات التي تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت في نفوسنا الشعور بان الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية .

أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على هذه البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

ان الملاحظات المتقدمة لا تجعل ثمة حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلا اذ فيها ما يكفي للدلالة على روحه ومرماه وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسؤوليات الخصوصية » الواقعة على المندوب السامي وكذلك الغرض الجديد — وهو قصد صيانة المصالح الحيوية لمصر — الذي اتخذ سببا لوجود القوة العسكرية وبهذا تم المشروع صبغة الوصاية الفعلية

إنا لما قبلنا المهمة التي عهد بها الينا عظمة السلطان كنا نؤمل الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييدا حقيقياً وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر حليفة بريطانيا العظمى كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص بما تقطعه على نفسها من العهود ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى على احداهما بالخضوع الدائم

وان روح المسالمة التي سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاؤل بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الامل فهو بحالته لا يجعل محلا للامل في الوصول الى اتفاق يحقق أماني مصر الوطنية

لوندره في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة تبليغ

من نائب جلالة الملك الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

ياصاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف أن أرفع الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التي جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي باشا . ان حكومة جلالته قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الامبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لان توصي جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف ان ذلك المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية في جوهرها واسعة النطاق في نتائجها وانها لا يمكنها أن تبقي محلا لاي أمل في اعادة النظر في المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم احاطة وافية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها وبالروح التي صدرت عنها تلك الاقتراحات

ان هناك حقيقة جلية سادت العلاقات بين بريطانية العظمى ومصر مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية، ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسي بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضي المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصير مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قنال السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الاهمية للهند واستراليا ونيوزيلاند ولجميع مستعمرات وولايات جلالته في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليونا من رعايا جلالته . ثم ان نجاح مصريهم هذه البلاد ليس لان كلا من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عميلة للاخرى فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخلة الدول الاخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة في الماضي

قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماما فعليا كان المصريون فريسة للاختلال المالي والفوضى الادارية وكانوا تحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تستأصل من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيوية . فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات كرامة فانها مدينة بهذه النهضة على الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها — ان المصريين سلموا من المداخلة الاجنبية واعينوا على انشاء نظام اداري واف وقد تدرب عدد كبير منهم على ادرة الامور والحكم واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحا فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستقلال . ان بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحا ماليا أو امتيازا تجاريا والامة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها

ان شبوب نار الحرب بين الدول الاوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الامبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلا ، فكان اعلان الحماية على مصر اعترافا بهذه الحقيقة وهي انه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند واستراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليبولي وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا ، قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسها ضرر بفضل جهود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طفيفة ولم يزد دينها . وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أن الكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على اكثر البلدان الاخرى . فليس من الحكمة ان الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله ، ولولا القوة التي أبدتها الامبراطورية البريطانية في الحرب لأصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر باقدامها وأفنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء لم تكن الآن في مصر أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلا عن حماية أجنبية . فالحرية التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع انما هي مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذي جعل ائتلافهما نافعاً لكلتيهما في الماضي هو دعامة العلاقة التي يجب على كلتيهما استمرار المحافظة عليها . وعلى الامبراطورية البريطانية الآن كما كان في الماضي أن تحمل على عاتقها في آخر الامر مسئولية الدفاع عن أراضي عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عليها تقديم المعونة التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم ان حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج اليه حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدبير ماليتها وترقية نظامها القضائي ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الاجنبية . على ان حكومة جلالته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الاجنبية الاخرى وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي ان استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسي لسلامة الامبراطورية البريطانية، وحكومة جلالة الملك تأسف على ان مندوبي عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدما يذكر في سبيل الاعتراف بما للامبراطورية البريطانية دون سواها من الاسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسؤوليات

ان شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسؤوليات قد ادرجت في مواد المشروع الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سيرفعه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلي باشا . وأهم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانية . فان حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الادلة التي قدمها الوفد المصري في هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها . لان حالة العالم الحاضرة ومجرى الاحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر . ومن الواجب اعادة القول بان مصر هي جزء من مواصلات الامبراطورية . ولم يكد يمضي جيل على مصر منذ انقذت من الفوضى . وهناك علامات على انه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التي لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رأته من وفد عظمتكم في الاعتراف بان الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوي ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها ، والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات، وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر، وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه

على انها تعيد القول وتؤكده بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار الحماية لافعلا ولا حكما بل بالعكس ان امنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقا بالامبراطورية البريطانية بمعاهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة. ولهذه الغاية التي جعلتها حكومة جلالته نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت امرة ملوكية دستورية» والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر بمعاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالته تأمل ان مصر باعادة وزارة الخارجية ترسل ممثليها في الحال الى الممالك الاجنبية. كما انها كانت على استعداد لتعضيد مصر في انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدإ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن . فلذلك ترغب حكومة جلالة الملك ان تبدي بوضوح حالة موقفها الآن

ففيما يتعلق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالته تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الامة المصرية واشتراكها ولكن حكومة جلالته تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العالية التي كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين . حكومة جلالته مستعدة لان تواصل بمشاورة حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الاجنبية لاجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جليا عند ما يحين وقت اصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات ، وكذلك ترجو حكومة جلالته ان السلطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضي القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الاحكام العسكرية حالما يصدر « قانون التضمينات » (actof Indemniti) ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر . وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالة الملك ترغب أن توضح بعبارة جلية السياسة التي تنوي اتباعها . فقد علمت ان المشروع الذي قدمته الى وفد عظمتكم قد رفض بحجة ان الضمانات التي تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والاجنبية تقضي على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعاً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على ان استبقاء الجنود البريطانية في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الحقانية والمالية يساء فهم المراد منها الى هذا الحد . اذا كان الشعب المصري يستسلم الى أمانيه الوطنية مهما كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكترث اكتراثاً كافياً بالحقائق التي تستحكم في الحياة الدولية فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمحه الاسمى لا يصيبه التأخر فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاما . اذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير من شأن ما على الامة من واجبات وتعظيم ما لها من الحقوق . وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا العمل لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الاثر في مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الاجنبية في مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسابيع الاخيرة على التأثير في مصير المفاوضات بنداءات مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم، وان حكومة جلالة الملك لاتعتبرانها تخدم مصلحة مصر بتساهلها ازاء تهييج من هذا القبيل ولن يمكن مصر أن تسير في سبيل الرقي الا متى اظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهييج. فان العالم يتألم الآن في جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة. وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر أو في غيرها. وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها أشد لزوما وبذلك يطيلون أجلها

واذ الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصلحتها الخاصة أيضاً ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كرشدة لمصر وأمينة على مصالحها. ولا يكفيها أن تعلم ان في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدىء به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأه من جديد وهي لا تنوي أن تبقي مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب في تقوية عناصر التعمير في الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقا تاما. ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لاجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر الشعب المصري أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلي وما يترتب عليه حتما من تدخل الدول الاجنبية

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصري يقوم على تآزره مع الامبراطورية البريطانية لا على تنافرهما. وحكومة جلالته لرغبتها في هذا التآزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث في أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها في جوهرها وذلك في أي وقت تريده حكومة عظمتكم، على أنها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف تلك الضمانات الجوهرية التي تشتمل عليها. وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر في أيدي الشعب المصري نفسه. فكلما زاد اعتراف شعبكم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة الى هذه الضمانات. وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم في هذا العهد الثاني من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطني المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة في العمل به أن المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية في بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج . اهـ

(المنار) قد صدقت الاحداث جميع ما قررناه في المسألة المصرية في الجزء السابع وجاءت الوقائع بما توقعناه من فشل مفاوضة الوفد الرسمي للحكومة البريطانية واستعفاء وزارة عدلي باشا فكان ما أحدثه اختلافها مع الوفد — او سعد — من الشقاق، سبب حرمانها مما تبغي من الاتفاق، وكان فشلها خيرا لمصر من نجاحها ، فانه أزال غرور جميع محسني الظن بالدولة البريطانية وأبطل تغرير الانتفاعيين الذين كانوا يخدعون بها الامة ، فمشروع (كرزون) الصادع ، خير من مشروع (ملنر) الخادع ، اذ أظهر للعالم والجاهل والذكي والغبي أن بريطانية لاتبغي من المصريين الا الاعتراف لها بأنها سيدة مصر والسودان والمالكة لها ولاهلها ، ولئن كان لورد كرومر هو المسترق ، فكرزون هو المحرر يحفزه الامة الى الخروج من هذا الرق، وإنما الفضل للسلطة العسكرية التي أرهقت البلاد ، وأجبرت وزراء لندن على إماطة حجاب الرياء . ونكتفي بأن نقول في هذه التعليقة المجلى على هذه الوثائق الرسمية إن بريطانية كانت تظن أن هذا الطغيان والجبروت والعظموت والتهديد بقوة السعير العسكري لابد أن يرهب مصر الفتاة العزلى فتخر ساجدة بين يدي القائد النبي فاتح القدس قائلة غفرانك غفرانك نحن عبيد بريطانية العظمى صاحبة الحق في أموالنا ودمائنا وأرضنا وسمائنا فهما تمنحنا في حكم بلادنا من وظيفة أو منصب ، أو حق مأكل أو مشرب، فهو فضل وسخاء منها نقابله بالحمد والشكر، ومهما تستأثر به من الحكم والتصرف والمنافع ومن رقبة الارض فهو من تصرف المالك في ملكه وان سمي في العرف العام والخاص مصادرة وظلما

كذب ظن بريطانية فان الامة قد هبت كلها للانكار الشديد على المذكرتين ورفضهما أشد الرفض وفي مقدمتها زعيمها الاكبر سعد باشا وأعضاء الوفد داعية الى الاتحاد على ذلك وعلى الاصرار على الاستقلال التام المطلق بلسان جميع أحزابها وصحفها. فأمر القائد النبي سعدا ومن معه باعتزال السياسة والخروج من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القاهرة الى الريف — فردوا الامر فاعتقلوا ونفوا من مصر — فثارت البلاد ثورة اجتماعية عامة لم يصدها عنه الخوف من الجند البريطاني الذي ملأ العاصمة وغيرها من المدن معززا بالسيارات المدرعة والطيارات المهددة وعاد أعضاء الوفد المشاقون فاتحدوا مع الباقين يعملون في بيت الامة ، وبرزت الى ميدان السياسة عقيلة الزعيم التي أبت مرافقته لتحل محله في خدمته فألقت على أعضاء الوفد خطابا من وراء حجاب ، ذرفت منه العيون واضطربت الالباب ، ثم جمعت شمل النساء على مقاومة الخصم بمقاطعة تجارته ، وتربية الاولاد على بغضه وعداوته ، وعم التظاهر بالاستياء والاحتجاج على المذكرتين ونفي الزعيم وأعضاء الوفد في الجرائد وغيرها من جميع الاحزاب والجماعات الرسمية وغير الرسمية من دينية ومدنية حتى أن رؤساء الكنيسة القبطية قرروا ترك الزيارات والتهاني بعيدي الميلاد ورأس السنة ، والحت الوزارة العدلية بقبول استقالتها وتعذر تأليف وزارة جديدة تنفذ للسلطة البريطانية ما تريد لشدة الاحتجاج من الرأي العام للامة حتى الذين كانوا يسمون العدليين أو الحكوميين والوزاريين . وتواترت الوفود من جميع أرجاء القطر رافعة احتجاجها الى القصر السلطاني على المذكرتين ونفي الزعيم ومن معه الخ واستقر رأي السواد الاعظم على مقاطعة التجارة الانكليزية ورجال الانكليز . وأخيراً أصدر الوفد قراراً شديداً في هذا المعنى نشر في بعض الجرائد فعطلتها السلطة العسكرية واعتقلت أعضاء الوفد الذين وقعوه فحل محلهم أفراد آخرون بلا خوف ولا وجل ، ولا غرو فان كل ما حصل فهو خير لمصر اذ لا تتربى الامم الا بالشدائد ، وشر للانكليز لانه وضع للقوة العسكرية القاهرة ، في موضع سياسة الحكمة والدهاء الساحرة ، فاذا أصروا على ذلك كانوا هم الخاسرين ، واذا أصررنا على طلب حقنا كنا نحن الفائزين ، والعاقبة للمتقين

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ باحثة البادية ﴾

« بحث انتقادي بقلم الآنسة مي »

قد اشتهر هذا الكتاب بين الناطقين بالضاد في كل قطر تنشر فيه أو تقرأ الصحف العربية فقد قرظته صحف القطر المصري فالقطر السوري فسائر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجرائد العربية في سائر الاقطار، فكان له في صفحاتها أجمل الذكر والثناء. اذ كان غريبا في بابه، عديم النظير في الكتب العربية في نفسه، وفي كون منشئته فتاة عربية تترجم عقيلة عربية بأسلوب عربي جمع بين تأثير الشعر ودقة الفلسفة وتحقيق التاريخ

وقد عرف قراء هذه الصحف أن « باحثة البادية » لقب أدبي منتحل للاديبة المصرية الشهيرة فقيدة الاصلاح (ملك ناصف) عقيلة عبد الستار بك الباسل (رحمها الله تعالى) كانت تتنكر على به على عادة ربات الحجال المسلمات في عصرنا، وان (ميا) لقب ادبي منتحل للاديبة المصرية النشأة السورية الاصل الآنسة (ماري زيادة) أمتع الله الآداب العربية بطول حياتها، وأن هاتين النابغتين العربيتين قد فاقتا جميع بنات جنسهما في هذا العصر، بل تفاخر مصر العربية بهما بنات كل شعب وكل مصر،

نشر هذا الكتاب مطبوعا منذ سنتين وأهدته الي المؤلفة وأنا في دمشق فكانت مطالعته مروحة لنفسي مما أكابد من اعمال رياسة المؤتمر، وسياسة الوطن؛ وتبريح المرض، والبعد عن الاهل والولد، فتوجهت الارادة الى العناية بتقريظه، والاستقصاء لوصفه، والبحث في نقده، على إثر التأثر بقراءته، فحالت دون ذلك كارثة زحف الجند الفرنسي على الشام، واسقاطه لحكومتها المبنية على اساس الاستقلال، واشتداد المرض، ومنع المعتمد البريطاني اياي من العودة الى وطن السكن، فأحلت امر تقريظه الى من كان يقرظ غيره من المطبوعات التي تهدى الى المنار، على ما كان من تقصيره في حقوق المهدين والقراء، فجرى فيه وفي كثير من الكتب على مذاهب الارجاء، وحسبي من قضاء حقه هذا التنويه الآن، وأرجو أن أعود اليه في وقت اطيل فيه البحث في شؤون تربية النساء

﴿ كتاب المسألة الشرقية ﴾

المسألة الشرقية في علم السياسة أهم من مسألة التحسين والتقبيح العقليين في علم الكلام، وأعقد من مسألة تربيع الدائرة في علم الهندسة، ونحن الشرقيين أحوج الى الاحاطة بها والوقوف على عللها ومعلولاتها منا الى العلم بسائر مسائل السياسة ومستمدها من علم التاريخ

وقد كان اكثر أهل الشرق غافلين عن هذه المسألة لعدم المنبهات، الموقظة من ذلك السبات، ولهذا افترصنا مسألة تألم العالم الاسلامي من مسألة طرابلس الغرب وبرقة فكتبنا عشر مقالات بعنوان المسالة الشرقية نشرناها في المؤيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم في المنار، فكان لها تأثير عظيم ذكرناه في محله من قبل. ثم جاءت الحرب الكبرى وماتلاها من الهدنة وبناء قواعد الصلح بين الدول الغربية على حل المسألة الشرقية حلا نهائيا فتم تنبه أذهان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للبحث في هذه المسألة فبعث ذلك حسين لبيب أفندي أستاذ التاريخ في مدرسة القضاء الشرعي على وضع كتاب وجيز في المسألة نشرته مجلة الهلال المصرية ثم طبعته على حدته في جزء بلغت صفحاته ١٢٠ ص من قطع المنار وهو خاص بطور المسألة الشرقية العثمانية التركية، وقد استمد مسائله من كتب التاريخ العربية والافرنجية والجرائد. وهو مؤلف من مقدمة في التعريف بالمسألة وستة فصول بين فيها معنى المسألة وأسباب ضعف الدولة وما كان من نهضة الدولة الروسية وقتالها اياها لحل المسألة الشرقية، والانقلاب العثماني الاخير ومسألة استقلال العناصر، وخاتمة في حال الدولة العثمانية في الحرب العظمى ومعاهدة سيفر المقررة للقضاء على سلطنتها (ونحمد الله تعالى ان أماتها عقب ولادتها) والكتاب مزين بصور عظماء رجال الدولة من المتقدمين والمتأخرين ويتصل به خريطة تاريخية لاملاك الدولة في القرن الماضي. فنحث كل من يهمه أمر الشرق والدولة العثمانية من قراء العربية أن يطالع هذا الكتاب المختصر المفيد

﴿ مفاوضات الانكليز بشأن المسألة المصرية ﴾

نشر أمين بك الرافعي مدير جريدة الاخبار في العام الماضي مقالات في الاخبار في تاريخ اعتداء الدولة البريطانية على البلاد المصرية واحتلالها إياها وماتبع ذلك من الوقائع والاحداث والمفاوضات السياسية الدولية في شؤون هذه البلاد كشف فيها القناع عن الدهاء والرياء والخداع الانكليزي الذي يجب على كل مصري وكل عربي بل كل شرقي أن يعرفه ويعتبر به ، وكنا كلما قرأنا مقالة من تلك المقالات نرى وجوب حفظ الجريدة لاجل الرجوع اليها ثم نتمنى لو تجمع تلك المقالات في كتاب خاص. وكان يتمنى ذلك مثلنا كل من يعرف قيمتها وشدة الحاجة اليها وما كان من تعب الكاتب في جمع تلك الحقائق وابرازها في الصيغة النافعة المؤثرة ، وقد كاشف الكاتب بذلك كثيرون منهم واقترحوه عليه فأجابهم اليه ، وطبعت المقالات على ورق جيد فكانت كتابا تاريخيا سياسيا جليلا بلغت صفحاته ٢٧٠ من قطع المنار فنحث كل من يعنى بالسياسة من قراء العربية على قراءة هذا الكتاب مراراً، ونتمنى لو ينتشر في جميع الاقطار العربية ولا سيما المخدوعة منها الى اليوم بالسياسة الانكليزية ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وثمن النسخة منه ٢٥ قرشاً مصرياً تضاف اليها اجرة البريد

﴿ كتاب الارشادات الصحية والاسعافات الوقتية ﴾

الاطباء أنفع العلماء بسنن هذا الكون للبشر وأكثرهم قد قصر نفعه على معالجة المرضى التي هي حرفتهم ومنهم أفراد ينفعون الناس بعملهم هذا وبما ينشرون من الكتب النافعة وهم قليلون، وأقل منهم من لا تقف همته عند هاتين الخدمتين العملية والعلمية بل تتجاوزها الى السعي لانشاء المستشفيات والملاجئ للفقراء وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية التي ترتقي بها الامم — والدكتور عبد العزيز بك نظمي من هؤلاء الافراد، الذين تفتخر بهمتهم هذه البلاد، فهو على كثرة عمله في عيادته الذي هو حق الحرفة، وعمله في مستشفيات الاوقاف بما توجب عليه الوظيفة (حكمباشي مستشفيات الوزارة) وعمله في ملجأ الحرية الذي أسس بسعيه الحميد، يجد سعة فيما يقتصد من وقته للتأليف، فله عدة كتب باللغة العربية أكثرها في تربية الاطفال ومعالجتهم — وهو اخصائي في ذلك — وأخرى باللغة الفرنسية. وآخر ما كتبه هذا الكتاب الذي نحن بصدد تقريظه فقد نشره بالطبع في أول هذا العام، واسمه يدل على مسماه، وهو يتألف من مقدمة وأربعة أقسام

فالمقدمة في التعريف بقانون الصحة، والقسم الاول في الارشادات الصحية المتعلقة بالاغذية والاشربة والماء والهواء والنور والنوم والملابس والرياضة ومضار المسكرات والمخدرات، والثاني في التمريض وفيه ٣ فصول، والثالث في الامراض الكثيرة الانتشار في الظاهر والباطن وطرق اتقائها، والرابع في الاسعافات الطبية بانواعها، ويتلوها بيان الصيدلية المنزلية، أي ماينبغي ان يكون في كل دار من العلاجات والمطهرات والادوات التي تشتد الحاجة اليها ولا سيما للاسعاف عند حدوث مرض أو حرق أو جرح أو لدغ أو لسع، وعبارة الكتاب سلسة، يفهمها كل متعلم ومتعلمة، وان لم يخل كأكثر المطبوعات المصرية من أغلاط لفظية يحسن تصحيحها في الطبعة الثانية، وفيه عدة صور ورسوم لايضاح بعض المسائل. وجملة القول فيه انه ينبغي ان لايخلو منه بيت من البيوت ولا أن يجهل ما أودعه رجل ولا امرأة، فكل ذلك من الضروريات التي لا يستغنى عنها. وصفحاته ١٧٠ من قطع كتاب الاسلام والنصرانية. وثمن النسخة منه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد، وهو يطلب من مكتبة المنار

(تنبيه) ضاق هذا الجزء عن سائر المواد الموعود بها ومنها البدء بالرحلة الاوربية